# لعبة الاستمتاع بالخيال

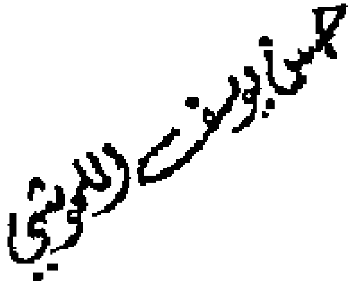
وقصص أخرى





حسن بوسيف

مجلس الثقافة العام



لعبة الاستمتاع بالخيال

و

قصص أخرى

# حسن أبو يوسف الدويبي

إصدارات

## مجلس الثقافة العام

**الإشراف العام**

أ . د . سليمان صالح الغويل

**لجنة الإعداد والإشراف**

ناصر الدعيسي
علي الفلاح
هليل البيجو
جابر نور سلطان
محمد عبدالله الترهوني
سالم أحمد الأوجلي

# لعبة الاستمتاع بالخيال

# و

# قصص أخرى

حسن بوسيف

الناشر

مجلس الثقافة العام

| | |
|---|---|
| اســـم الكـتاب | لعبة الاستمتاع بالخيال وقصص أخرى |
| اســـم المؤلـف | حسن بوسيف |
| سـنـة النـــشــر | 2008 م |
| رقـــم الإيـــداع | 822 / 2008 م |
| الترقيم الدولـي | 978 - 9959 - 38 - 745 - 5 |
| تـصميم الـغـلاف | علي العباني |
| لــوحـــة الغلاف | زهرة البيباص |
| التنفـيذ الفنـــي | دار قباء الحديثة - القاهرة |

الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

إصدارات

**مجلس الثقافة العام**

**المقر الرئيس** - مجمع المؤتمرات - سرت

هاتف 002185468622 - بريد مصور 002185473161

**فـرع طرابلس - عمارة الواحات - شارع عمر المختار**

هاتف 00218214449894 - بريد مصور 00218213335388

ص ب 2764 طرابلس

**فـرع بنغـازي - الفويهات الغربية - الطريق الدائري الثاني**

هاتف 00218612241577 - 00218612241578

بريد مصور 00218612241576 - ص ب 9351 بنغازي

بريد إلكتروني - LCC2_2005@Yahoo.ca

# الإهـــداء

* إلى ( علي )

ابتسامة التفاح ..

حقيبة الألقاب الأبدية ، محبتي وأكثر ...

* وإلى كل هؤلاء المشاركين الحقيقيين في هذه اللعبة

فافي .. أحميدة .. نرجس .. كوكا .. ملاك .. علي ..

عبدالرحمن .. عبد الحميد .. غفران .. البراء .. وعد .. أماني

.. هاجر .. شيخة .. حنين .. مي .. قاطش .. بلقيس .. نوني ...

* وآخرين تتقافز أرواحهم في قلبي محبةً وأكثر.

# الافتتاح الذي لا بدّ منه

**عاقل هو من يكتفي بالفرجة على العالم**

**ريكاردوريس**

أمقــتُ دوماً، بعمق وشدة أولئك الذين يريدون أن يعثروا في العمل الفني على موقف ( سياسي، فلسفي، ديني، الخ )، بدلاً من أن يبحثوا فيه عن قصد لمعرفة ، ولإدراكٍ، ولالتقاطِ هذا الجانب أو ذاك من الواقع.

**ميلان كونديرا**

**كتاب الوصايا المغدورة**

# المقدمة

**صوت السارد المحرِّك لخيوط اللعبة على بيّنة من المتلقي في مجموعة « لعبة الاستمتاع بالخيال ».**

تقوم لعبة السرد في تكويناتها الأساسية، على اعتماد فكرة المفاجأة، تلك المفاجأة التي تعتمد عنصر إبهار مترقب من المتلقي، الذي – غالبًا – ما يكون في حالة من التحفز الذهني، تتطاول مع امتداد قراءة النص، والالتحام مع ممكناته الواضحة أو الخفية.

وقد تكون تلك المفاجأة من متن النص متمثلة في فكرته أو لغته، أو من خارجه عن طريق ربط النص ( أو جزء منه ) بالمتلقي كأن تحيل على تاريخ أو جغرافيا ما.

ولقد ائتلف المتلقي العربي مع العديد من عناصر الابتكار الفني للسرد في اللغة والفكرة والخيال، والكثير من الميزات السردية التي تجعل النص متماسكا وعميقا، كما ائتلف مع تقنية تدخّل السارد في غفلة من المتلقي ليقول ما يريد على لسان شخصية ما من شخصيات النص، أو من خلال ظرف لغوي

مبتكـــر فيه ( أي النص ) دون أن تظهر شخصية السارد إلا أن مجمـــوعة "لعـــبة الاستمتاع بالخيال " تقدم على مغامرة سردية جديـــدة، فهـــي تعلـــن للمتلقي منذ البدء أنه أمام نص مصنوع باشتغال فني مقصود، من قبل سارد حاضر فيه بقوة ووضوح، وهـــو ( أي المتلقـــي ) أيضا طرف في هذه اللعبة / الصناعة الفنـــية، لذلك فعليه أن يمنع نفسه منعا تاما من تلبسه، وعليه أن يدرك أنه خارجه ولا يمت له بصلة، وهي الفكرة - أي التلبس - التي يكون المتلقي غالبا متهيئاً لها نفسيا، كما يكون السارد واقعـــاً ضمن سياقاتها السردية لا محالة، إلا أن فجاجة الصوت الـــسردي في "لعبة الاستمتاع بالخيال " تنبّه المتلقي لهذه اللعبة، وتـــشركه جبـــرا في حالاتها، وتعلن لـــه بضراوة أن النص خارجهمـــا معـــا ( أي السارد والمتلقي )، وعليهما أن يخضعا لحالـــة مـــن التعايش المقنن ضمن الإطار الخاص بكليهما على حـــدود الـــنص، يغيبان أحيانا، ويظهر أحدهما أحيانا، ويلتقيان ويتحاوران أحيانا أخرى.

كما أن السارد الذي يظهر كمحرك للنص بشكل مقصود يقوم بدور السطوة فيه، حيث يقول للمتلقي بموقف تعليمي شارح لا يخلـــو من فوقية ما في بعض الأحيان، إن هذا نصي وإنني

أريــد أقول لك عبره كذا وكذا .. " أدعوكم معي الآن للتخيل " وقــد يــتمادى فــي تحديد الزاوية التي على المتلقي أن يتخذها للنظر للنص أو للشخصيات أو للفكرة " فتاة وكي لا نتورط في اختــيار اســم لها من الأسماء التي ربما ستحيل إلى أشخاص بعيــنهم سوف نكتفي باختيار رموز الرياضيات ستكون الفتاة ( س ) " فهــي بــذلك؛ أي مجموعة : "لعبة الاستمتاع بالخيال" تقدم حالة من التواطؤ المسبق واللذيذ بين المتلقي والسارد.

إن هذه الفكرة الجديدة تجعل من النص مادة سردية حية، يضعها السارد بين يدي المتلقي ليقول فيها ( وليس من خلالها ) مــا يــريده بــشكل مباشــر وصريح، ومنذ العنوان : " لعبة الاســتمتاع بالخــيال " يدرك المتلقي أنه في لعبة مداها الخيال وهدفها الاستمتاع، وهو شريك في النص من حيث المهمة التي يقــع على عاتقه عبء تحققها عن طريق عدم الاتحاد بالناص ( الموجود بشكل مواز ) وعدم الالتحام ( بالنص/ اللعبة ) التي تــتحقق بشروطها الاستمتاعية ." سوف اترك لكم تخيل ملامح وجههــا مع الاتفاق مسبقاً بأنها سمراء قليلاً" / ". يبدو أن السّيد ( ص ) يريد أن ينهي استمتاعنا بلعبة الخيال .. وهو يشعر الآن بخفة وسعادة غامرة فهو لا يشعر بوزنه الآن .. لكن ما رأيكم

لو نفسد عليه نحن هذه المتعة .. وأن نضع وزنه في جسده من دون اســتئذان دفعة واحدة " / " لكم حرية التخيل في السرعة التي هبط بها جسد عباس ابن فرناس على الأرض بعد لحظات التحليق والخفة والسعادة الغامرة التي عاشها ".

كمــا تقوم " لعبة الاستمتاع بالخيال "على تقنية موازية، وهــي تضمين لعبة في اللعبة، أو خيال في الخيال عن طريق تــضمين النص ( اللعبة ) لعبة لبعض الشخصيات مثل ( س ): " لم تكن ( س ) تلعب لعبة الأنثى التي ( تراوغ الحزن بالألوان ) .. بل كانت ترتدي جلباباً أسود وحجاباً أبيض وقفازات سوداء .. لكن هذا لا يعني أنها لا تلعب .. هي تلعب لعبة اللون الواحد .. الذي يعجب الشبان الملتحين .! " / " طلب منها ( ص ) أن تــركب في الخلف.. وافقت هي على طلبه .. بأنه عليهما تخيل أن هــذا أول لقاء بينهما. / تكييف السيارة فيه جزء من الهواء الــبارد مــسلط على الأقدام .. الأمر الذي جعلها - بمجرد أن شعرت بالبرودة تسري في قدميها - أن تخلع حذاءها.. وتغمض عينيها .. دخلت ( س ) في لعبتها الخاصة بها ".

* * * *

إن مجمــوعة " لعــبة الاستمتاع بالخيال " تقدِّم نفسها أو يقدمها كاتبها " نصا " يمثل حالة خروج واضحة على الكثير من تقنيات السرد المعاصر، السائدة المأثورة والموروثة بشكل عام، ومــن أهمهــا حضور اللغة في النص السردي، والتحايل على الــبلاغة مــن خــلال تــضمين النصوص السردية الوافر من المفــردات المحاكـــة بعناية، والصور المشغولة بمهل وشعرية، كحتمية لأبرز ملامح السرد العربي المعاصر، وأكثرها شيوعا وبروزا.

لذلك فقارئ " لعبة الاستمتاع بالخيال" سيلاحظ أنها تميل إلـــى اللغة الواضحة التي تخدم قصد السارد فقط، وتبني النص في معزل عن عناصر الإبهار اللغوي، وتحرِّك شخصياته وفق الإطـــار الـــذي يرسمه ويسير فيه باستمتاع وشراكة مع الآخر ( المتلقي ) شريك " لعبة الاستمتاع بالخيال " بلا مبالغات لغوية، أو زيادات وثقل بلاغي وفني.

* * * *

كمـــا أن " لعبة الاستمتاع بالخيال " قائمة في بنائها الفني العام على الخروج على الجاهز والمطروح والمحدد سلفا، وقد جـــاء التخلص من الأسماء كأبرز الأشياء التي قد تجعل النص

محـــددا، لذلك عمد الكاتب إلى تمويه وتعميم شخصيات النص، فجعل لهما رموز رياضية ( س )، و( ص ) كانفكاك من ورطة التعمـــيم والجاهزية والأشياء المسبقة الصنع، أو لإخفاء هالات الاسم وثقل محمولاته التاريخية أو النفسية، أو كي لا تحيل على شخصيات محددة كما يخبرنا السارد " وكي لا نتورط في اختيار اســـم لهـــا مـــن الأسماء التي ربما ستحيل إلى أشخاص بعينهم سوف نكتفي باختيار رموز الرياضيات ستكون الفتاة ( س ) ".

كما قصد الناصّ الخروج على لعبة الشكل أيضا، فالنص الذي ينداح خارج الأشكال السردية المعروفة ( رواية / قصة / قصة قصيرة ) هو عبارة عن خمس مقاطع ( حالات / رسائل ) تأخـــذ في شكلها العام ما يشبه حكاية بسيطة ومبتكرة ومستمرة فـــي الـــوقت نفـــسه، لشخصيات ومواقف وأحداث تدور حول شخصيتين رئيستين قام السارد بخلقهما من الخيال ( س ) امرأة في البدء، ثم ( ص ) الرجل الذي خلقه لها ليكمل اللعبة، باتفاق مـــسبق مع المتلقي في بداية النص، ويقوم السارد خلال النص بتحـــريكها كلعـــبة حكي متطورة، أومن خلال تضمين حالات مـــوازية لهما، لتغيير مسارات ونقاط السرد حولهما، ليتطور الـــنص، ومواقفه وشخصياته وأحداثه عبر مقاطعه الخمس من

خلالهمـــا، ووفــق تقنـــية اللعبة المتبادلة بين السارد والمتلقي " وسوف اختار أنا ملامحها الأخرى .. ماذا تحب ؟ ماذا تكره ؟ وماذا الخ ..؟ ".

أو مـــن خلال فكرة الاحتمالات كبدائل مطروحة من قبل الـــسارد كاحتـــرام لخيارات المتلقين " لعبة الاستمتاع بالخيال" الـــذين لهم ( كما يقرر ) حق التفكير في مدارات النص، وحق التغييـــر فـــي مواقـــف الشخصيات وأدوارها، وحق الاختيار للاحتمال الأنسب لفكرة ( تخمين ) ما في النص " بدأت أحترم روح الاحتـــراف لـــديكم كلاعبين في لعبة الاستماع بالخيال .. خصوصًا في مهارة صياغة عنوان الحالة .. والتي يظهر فيها جلـــياً تأثركم بالروح الرومانسية التي جاءت مع روايات عبير التـــي تحمـــل في العادة هذا الكلاشية ( جواز سفرك للمشاعر الصادقة ) .. لكن هنا سأقترح عليكم روح البحث السطحي التي تبـــثها أجاثا كرسيتي في رواياتها البوليسية .. لنتخيل لماذا هربت العـــروس ..؟ لكن لكي نتيح فرصة لأكثر من رؤية للتخيل .. سوف نقسِّم أنفسنا إلى مجموعات تبحث عن سبب الهروب لكن نختلف في التناول .. فالمجموعة الأولى تنطلق من أن العريس شخـــصية متـــشائمة .. والمجموعة الثانية تفترض أن العريس

شــخص يمــارس هــواية الرفض المطلق .. والأخرى ترى الموضوع من رؤية فنتازية ...

ما إن تخلّص النصّ من عبء الأفكار الكبيرة والجاهزة، العظــيمة منها والرخيصة، لتقول على لسان شخصياتها العامة والبــسيطة - والتي قد نصادفها في أي مكان من الواقع الحي والمتحــرك - مــا يحــدث فعــلا فــي الحياة أو ما تريد هذه الشخصيات قوله من خلال بيئتها النفسية المتعددة ، أومن خلال الموقــف الحالــي القائم على تداعيات الماضي الذي لا انفكاك للكــائن مــن بــراثنه، وهي بذلك تبتعد عن الأحكام الأخلاقية الفاصــلة، أو الــسياسية التعــبوية، لتتــناول قــضايا الكائنات الاجتماعية اليومية والبسيطة ..

" فقــبل أن تركب ( س ) يكون قد غير الشريط المغربي .. بشريط لفيروز .. أخبره أحد أصدقائه بأن من يسمع فيروز تأخــذ عــنه فكــرة بأنه مثقف وحساس ورومانسي .. / سماع فيــروز يأتــي فــي السياق العالمي كدليل على الثقافة لكن في الــسياق المحلــي لمديــنة بــنغازي فكان يكفي أن تردد مقولة للمرحوم الصادق النيهوم هذا الكاتب الذي فاقت نجوميته نجوم الكرة والفن والعسكريين الجدد .. "

" كانـــت كـــتابة اليوميات .. موضة منتشرة بين طلاب الإعدادي .. وهذا بسبب دراستهم لأدباء المهجر الرومانسيين ".

* * * *

وتتضمن " لعبة الاستمتاع بالخيال " مجموعة من الأفكار التـــي تعبر عن رؤية الكاتب السابرة والعميقة والمختلفة للحياة وللكائـــنات، ينثـــرها فـــي متن الحكاية، لتوضح فكره وقناعاته الشخـــصية، التي لا يخفي انتماءها له على المتلقي، الذي يدرك أن هذا صوته الشخصي وفكره الخاص ..

وفـــيها يركـــزّ علـــى ازدواجية الفكر العربي المعاصر، وحـــالات التطـــرف القصي بين نقيضين، والكيل بعدة مكاييل، وتغيـــر الأحكـــام الأخلاقية وفق الظرف النفسي والاجتماعي، وتغيير مسميات الأشياء لتبريرها، وتفشي حالات التلون النفسي والأخلاقـــي والثقافي، وانعكاس ذلك على جميع مناحي الحياة، مثل:

**الديـــن :**

" وبعـــبارة أخـــرى الـــشيوخ الجدد جاؤوا محمّلين بقوة الـــصورة التـــي فرضـــت نفسها على الفكر " "ظهرت قنوات

متخصصة للغناء داخل الغناء أصبحت هناك قناة مخصصة للطرب وأخرى للغناء كما أن التخصص اخترع قنوات دينية متخصصة في إخراج الجان .. وأخرى لقراءة القرآن . .!. "

## الفكر والأخلاق :

"هذا يعني أن هناك داخل المجتمع الواحد طبقات، والمجتمع المقسم إلى طبقات هو اختراع أفلاطوني متكئ على المثالية الشديدة، وهذا يعني أنهم ينظرون للأمور بعينين من خلفية واحدة.

المثالية ليست حكراً على المجتمع الراقي فقط، فالفتاة التي نعتته بالفشل .. منزعجة لأن صديقها لم يأتِ في الوقت المحدد على ( ماسنجر الياهو ) لهذا هي عصبية .. والسائق الذي يتعمد أن يختار أبعد الطرق التي توصل إلى بيت الفتاة التي تجلس خلفه .. يريدها أن تكون هي الأخيرة ...

المثالية ليست ملتصقة تماما بهم بل هي موضوعة في درج يخرجونها منه متى أرادوا ".

**الثقافة :**

"هناك إضافة قد تكون مهمة .. إن الذي دفع ( س ) لكتابة خربشاتها ليس فقط دافع الحزن على أمها بل إنها أنهت قبل وفاة أمها مشاهدة مسلسل مكسيكي مكوّن من أربعمائة حلقة ومدبلج بلغة عربية فصحى .. ونتيجة لهذا استطاعت أن تقرأ بسهولة الصفحة الأخيرة من مجلة زهرة الخليج فوجدت روحها ثقيلة بهذا المخزون السمعي من اللغة والمخزون الكتابي من الإنشاء ..

هي لم تعش اللغة بل سمعتها. هذا يشبه تقريبا ما يحدث لشعراء القصيدة الموزونة فتفعيلتها جاهزة في أذانهم ".

" يشبه شاعرًا يكتب القصيدة العمودية .. ويحاول أن يحدثك عن لحظة الكتابة .. تهرب من المفردات التي تصف هذه اللحظة .. ويكتفي بالإشارة بأن هناك شيئاً يسقط من السماء على رأسه ".

**الحب والزواج كشكل متوج له :**

"مشاعر الأخوة هي جدار عازل على مستوى المشاعر وليس أمام الرغبة .. عندما أوكلت لآدم وحواء مهمة تكوين

السلسلة بشرية .. سمحا لنفسيهما .. بتزويج الأخوة .. نستطيع أن نقول بأنه لم يكن هناك حب .. بل كان هناك مهام ".

" فـــي أول أيـــام الـــزواج الذي حدث نتيجة التعود .. لم يكتمل بعد شكل الحياة الزوجية / وهذا بسبب أن كليهما منشغل بالبحث عن نفسه في الآخر .. عن نفسه فقط ".

## المـــرأة

" وبعبارة أخرى ليس خلفها تماماً فقبل أن توجد المرأة العاملة في ليبيا في العصر الحديث كانت البنات تتزوج مبكراً لهذا فإن سن الثلاثـــين كانـــت ســـن العنوســـة ولكن مع هبوط مستوى المعيشة أصـــبحت المرأة المرغوبة هي المرأة صاحبة الدخل، لهذا تم رمي ســـن الزواج إلى أبعد من الثلاثين " وغير ذلك من الأفكار المبثوثة فـــي مـــتن الـــنص والتي تعبِّر عن نضج فكري، وموقف وجودي خاص تجاه الحياة والطارئ الاجتماعي والثقافي والمعرفي.

* * * *

إلا أن فتـــنة نصّ " لعبة الاستمتاع بالخيال" تكمن – إضافة إلـــى فكرة " صوت السارد العالي في النص " – في توفير الكاتب لحالة من الفراغ تصلح للتخيّل أو للمساءلة أو للصمت، قبل وبعد

الـــنص، أي الفـــراغ قبل الخلق الذي لا نعرف الحكاية إلا من نقطـــته التي شاءها الناص – والقائمة على فكرة " في البدء كانت الأنثـــى" فهكذا يلذ لكاتب النص أن يبتدئ خلق حكايته من الأنثى لـــيجعلها محـــور الحكاية التي تنطلق منها خيوط السرد المتشعبة الجهـــات، وتـــدور حـــول بؤرتها الشخصيات المتولدة، والمواقف المتفرعة – والفراغ بعد النص. فالسارد – كما يبدو– لا يميل إلى القطعية في أي شيء، ولا يميل إلى النهايات سواء السعيدة منها أو الحـــزينة، لذلك فهو لم يعمد أيضا لوضع الحدود البينة في خيوطه الـــسردية لما حدث / سيحدث بعد الحكاية، فجعل النهاية مستمرة كالحـــياة التي لا تبدأ بميلاد أحدهم، ولا تنتهي بموته، فهي مستمرة قبله وبعده، داخل الشخصيات وخارجها.

إن " لعـــبة الاستمتاع بالخيال" حالة استحضار وتعميق لـــشريحة حياتية مقتطعة من الحياة الكبرى، تمثِّل صورة حياة كلية خاصة بكائن ما، وتمثل في ذات الوقت صورة جزئية من مدارات الحياة الكبرى، ووضعها تحت مجهر الكتابة، كشريحة حياتـــية تمـــر ( في الأصل ) بموازاة حيوات كثيرة في الحياة العامة بصورتها الكلية، حياة محددة تبدأ من نقط ما، لا تشكِّل بدايـــة بالمعنى الوجودي العام للحياة الكبرى، وتنتهي بنقطة لا

تـــشكِّل نـهاية بالمعنى الوجودي العام للحياة الكبرى، فلكل كائن حـــياته الكلـــية ( الجزئية ضمن الحياة )، تلك الحياة التي تبدأ بنقطه خاصة، وتنتهي بنقطة خاصة خارج / داخل الحياة الكلية.

" هـــل عمـــك تزوج ومقيم الآن في مصر بعد أن هرّب الكنز ؟

- من قال لكِ هذا ؟

- جدتك ...

لم يؤكد المعلومة.. لكنه قال جدتي كل من حولها يكبر الا هـــي تكتفي فقط بأن تضع خطًّا من التجاعيد على جبينها يظهر كلما كانت عصبية.... "

* * * *

إن قـــارئ " لعبة الاستمتاع بالخيال " سيكون لديه الكثير مـــن المـــساحات الحاضرة والغائبة للانشغال بها، وللاستمتاع بالـــبحث بين مدلولاتها الخيالية المعلنة والخفية، كلعبة قائمة في الأساس على الخيال الذي لا يحده مدى ولا تؤطره رؤية ..

فاطمة الشيدي

**شاعرة وباحثة من عُمان**

## الحالة الأولى

# لعبة الاستمتاع بالخيال

- 1 -

أدعوكم معي الآن للتخيل، فتاة وكي لا نتورَّط في اختيار اسم لها من الأسماء التي ربما ستحيل إلى أشخاص بعينهم، سوف نكتفي باختيار رموز الرياضيات، ستكون الفتاة ( س ) .. تقف يومياً عند جزيرة دوران الحدائق، لتركب حافلة تكون آخر محطة لها مستشفى الجمهورية ../ سوف أترك لكم تخيل ملامح وجهها مع الاتفاق مسبقاً بأنها سمراء قليلاً .. وسوف أختار أنا ملامحها الأخرى .. ماذا تحب ؟ ماذا تكره ؟ وماذا الخ ... ؟

لعبة الخيال لا يمكن الاستمتاع بها باختراع شخصية واحدة .. سوف اخترع لها شاباً اسمه ( ص ) وسيكون هو سائق الحافلة التي تستقلها ( س ) يومياً.

- 2 -

يومياً الساعة السابعة صباحاً .. يقف ( ص ) وتصعد ( س ).. تجلس بأحد المقاعد الفارغة خلفه .. لم يكن هناك حديث بينهما .. غير أن ( ص ) الذي ترك تعليمه بعد أن أنهى المرحلة الإعدادية خاف أن تأخذ عنه فكرة بأنه جاهل .. فقبل أن تركب (س) يغيرِّ الشريط المغربي .. بشريط لفيروز ..

أخبره أحد أصدقائه بأن من يسمع فيروز تؤخذ عنه فكرة مثقف والحساس والرومانسي .. / سماع فيروز يأتي في السياق العالمي كدليل على الثقافة، لكن في السياق المحلي لمدينة بنغازي فكان يكفي أن تردد مقولة للمرحوم الصادق النيهوم، هذا الكاتب الذي فاقت نجوميته نجوم الكرة والفن والعسكريين الجدد.

اشترى كتابًا يحمل صورته الشخصية ووضعه بطريقة واضحة لتراه ( س ) .. ولم يكتفِ بهذا فبدأ بسماع أشرطة الدروس الدينية والتي اكتشف أنها تحبها .. نتيجة لتحليله لنوع ملابسها القفزات والجلباب الأسود الذي تلبسه باستمرار.

فصديق ( ص ) الذي أخبره وعن فيروز .. نسي ما تحتاج إليه ( س ) ففي حقيقة الأمر كانت وعندما تكون وحيدة تحب الرقص على موسيقى العكشي الشعبية .. ومواظبة بشكل أسبوعي على قراءة مجلة زهرة الخليج.

لم تكن ( س ) تلعب لعبة الأنثى التي ( تراوغ الحزن بالألوان ) .. بل كانت ترتدي جلباباً أسود وحجاباً أبيض وقفازات سوداء .. لكن هذا لا يعني أنها لا تلعب .. هي تلعب لعبة اللون الواحد .. الذي يعجب الشبان الملتحين !.

## - 3 -

.../ ولأنهما تعوَّدا على رؤية بعضهما كل صباح .. بدأ ينشأ بينهم نوع من الأحاديث كصباح الخير .. تأخرتِ قليلاً أو تأخــرت قليلاً .. الجو بارد أو الجو ساخن وهكذا أشياء تسري بينهما...

غيــر أن ( ص ) لــم يــتوقف عند هذا الحد بل أخبرها بمشاعره تجاهها دفعة واحدة ../ تعود ( ص ) هذا الاندفاع غير المبــرر مــنذ كان في فترة المراهقة .. يوم أن أخبر ابنة عمه بحــبه لهــا .. كانت في سن المراهقة .. وفي هذا السن تتطلع الفتــيات للرجل الكبير في السن .. الرجل القادر على أن يلمس الأنوثة فيهن ويحافظ على الطفلة، لهذا لم تستجب لرغبته.!

تهرَّبت منه بطريقة مهذبة .! أخبرته بأنها تشعر به كأخ ../ مــشاعر الأخوة هي جدار عازل على مستوى المشاعر لا أمام الرغبة .. عندما أوكلت لآدم وحواء مهمة تكوين السلسلة بشرية .. سمحا لنفسيهما .. بتزويج الأخوة .. نستطيع أن نقول بأنه لم يكن هنالك حب .. بل كانت هناك مهام. شعرت ابنة عمه بأنها تــسببت في إساءة لــه .. تقدمت منه وقبلته / قبلة تحت تأثير المهام مفعمة بالأخوة.

كانت هذه أول مرة يُقبل فيها ( ص ) .. لم تكن من نوع القبل السريعة .. كانت بطيئة وطويلة.. هذا الوقت ظل ملتصقاً بذهن ( ص ) .. وهذا الذي جعله يتعلم الاندفاع .. الزمن الذي استغرقته القبلة سجله في يومياته .. كتابة اليوميات كانت موضة منتشرة بين طلاب الإعدادي .. وهذا بسبب دراستهم لأدباء المهجر الرومانسيين.

( عندما اقتربت مني بدأ قلبي يخفق بشدة وأنفاسي عالية .. كنت أرى صدري وهو يرتفع وينخفض .. وعندما اقتربت شفتاها .. بدأت أشعر بالذوبان هذا الذوبان لا أستطيع أن أصفه إلا بذوبان حبيبات السكر على طرف اللسان ... ).

أخبرها بمشاعره لم تكن بتلك الصورة التي أخبر بها ابنة عمه .. بل بطريقة مضحكة كان يتحدث ثم تختفي المفردات من لسانه .. ثم تعود .. ثم تنقطع .. ويستعين بالإشارات واضعاً يده على قلبه .. كانت ترتسم على ملامحه ابتسامة.. ويفكِّر ماذا يفعل لو قالت له إنها تشعر به كأخ .. كانت ( س ) تقترب من سن الثلاثين .. في هذا السن تتضح سيطرة المرأة الناضجة على الطفلة فيها .. وبهذا يصبح مشروع الزوج خلفها و ليس أمامها / وبعبارة أخرى ليس خلفها تماماً فقبل أن توجد المرأة

العاملـــة في ليبيا في العصر الحديث كانت البنات تتزوج مبكراً لهـــذا ســـن الثلاثين هي سن العنوسة ولكن مع هبوط مستوى المعيشة أصبحت المرأة المرغوبة هي المرأة صاحبة الدخل لهذا تـــم رمي سن الزواج إلى أبعد من الثلاثين .. لم يكن مشروع الزواج عند ( س ) يقع خلفها بل كانت تقف فوقه تماماً.

مـــازال يحاول أن يشرح لها بأنه يحبها .. يشبه شاعرًا يكـــتب القـــصيدة العمـــودية .. ويحاول أن يحدثك عن لحظة الكـــتابة .. تهـــرب منه المفردات التي تصف هذه اللحظة .. ويكتفي بالإشارة بأن هناك شيئاً يسقط من السماء على رأسه.

- 4 -

في أول أيام الزواج الذي حدث نتيجة التعود .. لم يكتمل بعـــد شكل الحياة الزوجية وهذا لأن كليهما منشغل بالبحث عن نفسه في الآخر .. عن نفسه فقط.

ولأنهمـــا على هذه الحالة منذ فترة.. قررا الخروج منها كسراً للاعتياد.

اســـتطاع ( ص ) أن يشتري سيارة خاصة به بالإضافة للحافلـــة .. خرجا معاً .. ركبت هي بجواره وهذه أول مرة ..

ولأنهـــا لم تركب في فترة التعود بجانبه طلب منها ( ص ) أن تـــركب في الخلف وأن تتخيل أن هذا أول لقاء بينهما. وافقت على طلبه.

صـــعدت ( س ). جلـــست في المقعد الخلفي .. أصبحت العلاقة واضحة بينهما .. زبونة وسائق .. وما أن تحرك حتى بدأ الشريط المغربي يغني .. رغبت في سؤاله عن فيروز وعن الـــدروس الدينية وعن الكتاب الذي يحمل صورة لشخص وقد اختفى من الحافلة.. لكنها تذكرت بأنها مجرد زبونة .. تظاهرت بأنها مستمتعة ..هذا السلوك شجع ( ص ) على أن يوجه المرآة الداخلية على وجه ( س ) ما أن شاهدت وجهها في المرآة حتى رســـمت ابتـــسامة مصحوبة بضغطة بطيئة ولذيذة على شفتها السفلى.

– أين تريدين ؟.

– لا أعرف .. أريد الخروج فقط.

– متزوجة ؟.

– بعد لحظة صمت .. أجابته .. نعم

– أين زوجك ؟

- لا أعرف .. لا أحب الخروج معه.

- كانت تتحدث وهي تداري ضحكتها بصعوبة.

- وهل أنت متزوج ؟

- لا.. لستُ متزوجاً.

لـــم تفهم ( س ) قصده من الإجابة، خصوصا أنها بدأت أكثر جدية .. لكنها فضلت الاستمرار في اللعبة.

- الجو حار .. لو سمحت شغل التكييف ../ تكييف السيارة فيه جزء من الهواء البارد مسلط على الأقدام .. الأمر الذي جعلها. بمجرد أن شعرت بالبرودة تسري في قدميها - أن تخلع حذاءها.. وتغمض عينيها .. دخلت ( س ) في لعبتها الخاصة بها.

تسير فوق السحاب بقدمين عاريتين .. وجلباب طويل بدأ يعيق حركتها، لهذا قامت برفعه فوق ركبتيها .. وبدأت في القفز من سحابة بيضاء إلى أخرى ...

كانت مستمتعة لأنها بلا وزن .. نظرت لتفاصيل اللوحة ســـماء زرقاء .. سحابة بيضاء .. ساقان بنيتان .. قماش أسود في منتصفهما .. حجاب أبيض .. كانت تقفز وتفكر في تفاصيل الألوان وهذا اللقاء بينهما بسهولة.

أثـــناء قفـــزها يبدو أنها قفزت على سحابة هشة فاخترقتها قـــدمها .. شعرت بتلك اللسعة من البرودة .. هذه اللسعة جعلتها تـــشعر بـــوزنها واستفاقت على صوت ( ص ) يطلب منها بلهجة قاســـية أن تعـــود للركوب من جديد بجواره، كانت ما تزال تشعر بالبـــرودة وعندما نظرت إلى ساقيها وجدت أن جلبابها ارتفع إلى أعلـــى ركبتيها .. أنزلته .. جلست بجوار ( ص ) .. وهي تفكر فـــي انعدام الوزن .. هذه المفردة التي سمعتها أول مرة من أبيها .. أمـــك لا تعرف لذة السباحة في الفضاء .. حلاوة الاتصال بعد قطـــع الطـــريق الصعب من السفر إليه .. أن تعيش بلا وزن .. ( كلما اقتربنا من الله تخلصنا من ثقل ذنوبنا ).

كانـــت أمهـــا تتشاجر معه بسبب مظهره .. أسمع الله لا يـــريد كـــل هذا ولا يقبل به.. أنت تتعب نفسك .. لم يكن يرد علـــيها. كان يضم ( س ) إلى صدره ويحدِّثها عن السباحة في الفضاء .فهمها لم يسعفها وقتذاك.

رأت ( س ) هذه السباحة مرة واحدة عندما عاد جارهم من حرب تشاد بعد أن ظن أهله أنه مات .. عاد بسهولة وطرق الـــباب. أصـــر الأهـــل على تزويجه .. تزوج الابن العائد من الحـــرب .. حفـــل الزفاف اتخذ شكلاً دينياً. أقام الأهل حضرة.

ومـــا إن بـــدأ النقر على الدفوف حتى راحت النسوة يختلسن النظر عبر النوافذ المواربة. كانت ( س ) معهن وكانت تختلس. صــاحب النقــر الخفــيف مدائح لله ورسوله .. بدأ الإيقاع في التسارع وبدأت النساء من حولها يطلقن سراح جدائلهن. وكلما تــوغلن فـــي الوجد ازدادت حركة رؤوسهن المتمايلة تسارعاً وانتظاما.

بـــدا المــشهد آنــئذٍ غريبًا عليها وهي التي لم تشاهد في حــياتها حــضرة وقعــت عينها على والدها .. وهو يدور في منتصف الحلقة .. والإيقاع يتسارع .. حركة أبيها تزداد سرعة وخفـــة وهو يدور برأسه ثم يحرِّك جذعه في شبة دائرة إلى أن سقط مغشياً عليه.

في الصباح لم يجد الأهل العروس .. هربت ليلاً ليكتشف أهـــل العريس فيما بعد أن الابن الذي أرادوا تزويجه لم يعد من تشاد مثلما ذهب استيقظت على صراخ أمها وهي تقول زوجي هج. هرب.

بـــدأت رحلة البحث عنه لكن سرعان ما دبَّ القنوط في الجمـــيع لا لعـــدم عـــثورهم عليه. بل لأنهم وجدوه في إحدى ( الزوايا ) واهباً نفسه لخدمتها كحال كل المجاذيب.

تذكرت ( س ) تلك الليلة قبل رحيله .. دخل عليها وقبلها .. أخبـــرها بأنـــه مسافر .. ( وسفري سيطول .. اعتني بأمك ) فيما كانـــت ( س ) منغمسة في التفرس والاستعادة والربط بين صور الذاكرة وحالات الذاكرة ووقائع ركبن على بعض في الذاكرة وفيما أدخلـــتها حالة التريش وفقدان الوزن في ملكوتها سحبها سؤال أبله من ( ص ) إلى حيث هي في المقعد المجاور له.

ألك ابن عم ؟

قبل أن يستطيع التحكم فيه .. بتره ... شطبه ... انطلق السؤال الأبله كالسهم ...هل من الحصافة أن نطلق أسئلة نعرف إجاباتها ؟.

ألا يظهر هذا مقدار ما فينا من عته وسخافة ؟!

لكـــن ماذا يملك ( ص ) من حيلة أمام تيار الشك والريبة الذي اجتاحه بسيل من الإبر الصغيرة والكثيرة والواخزة.

دخلـــت ( س ) حالة فقدان الوزن. انحسر جلبابها فكشف عن ساقيها وهي التي تجلس على المقعد الخلفي للحافلة فحطت بـــه الذاكـــرة على جبل النار حيث ابنة عمه والقبلة المصحوبة بالرفض و.... و......

- هل تمزح ...؟! ألا تدري إن كان لي ابن عم أم لا ؟!

... طـــبعاً لا جاءت كلمة ( لا ) .. كقطرة ماء باردة تنزلق من أول الظهر حتى أسفله في يوم قائظ. شعر بالراحة والاطمئنان لأن كـــل ما فعلته ( س ) فعلته من أجله هو فقط .. إنها ليست كابنة عمه.

- 5 -

يـــبدو أن الـــسيد ( ص ) يـــريد أن ينهي - وقد استكفى بماحـــصل عليه من نشوة - استمتاعنا بلعبة الخيال .. ما رأيكم لو نفسد عليه نحن هذه المتعة .. وأن نعيد أثقال جسده التي كان لبرهة قد تخلص منها ..

نعيدها إليه ونعيده لها عنوة وبدفعة واحدة.

صوت موبايل ( س ).. أهلاً عمتي ...

بدأ يدخل الوزن إلى جسد ( ص ).

مع السلامة عمتي ...

هل لها أبناء ؟

ثلاثة ...

كيف عندما سألتك قلتِ لي لا

أنت سألتني عن أبناء عمي .. وهذه عمتي وأبناؤها يطلق عليهم أبناء عمتي وليس عمي.

لكـــم حرية التخيل في السرعة التي هبط بها جسد عباس ابـــن فرناس على الأرض بعد لحظات التحليق والخفة والسعادة الغامرة التي عاشها.

* * * *

## الحالة الثانية

# من لعبة الاستمتاع بالخيال

# رســـــائــــل

( ص ) فـــي رحلـــة، و( س ) تجلس وحيدة أمام شاشة التلفاز، تشاهد قناة مخصصة للغناء / ظهرت قنوات متخصصة للغناء داخل الغناء أصبحت هناك قناة مخصصة للطرب وأخرى للغـــناء، كما أن التخصص اخترع قنوات دينية متخصصة في إخراج الجان .. وأخرى لقراءة القرآن ..!

( س ) وحيدة في الفترة التي مازالت تحتاج لـــ( ص )، لم تخلق بعد المسافة بينهما في السرير.!

الجـــدران باهتة بلا صوت ( ص )، هذا جعلها تفكِّر في الفتاة التي جلست بجوارها اليوم في الحافلة وهي تفتح صفحات مجلـــة فاخـــرة الطـــباعة، كانـــت تنظر للصور الموجودة في الـــصفحات الأخيـــرة من المجلة، وتتابع الصور بسبابتها كان عنوان الصفحة أخبار المجتمع الراقي لم تكن الفتاة تتابع الصور بـــسبابتها كمـــا ظنت ( س ) هي كانت تتساءل عن عدم وجود صور زفاف صديقتها في الحي الذي تسكن فيه والتي لم تتزوج إلا بعد أن تأكدت من وجود الماء في بيت عريسها.

عنوان الصفحة المجتمع الراقي، هذا يعني أن هناك داخل

المجتمع الواحد طبقات، والمجتمع المقسم إلى طبقات هو اختراع أفلاطوني متكئ على المثالية الشديدة، وهذا يعني أنهم ينظرون للأمور بعينين من خلفية واحدة.

توقفت الحافلة بسبب الزحام والتصقت السيارات ببعضها في لحظة حميمية مزعجة، وفي سيارة من النوع الذي يطلق عليه شبابي كانت هناك لحظة أكثر حميمية عناق لذيذ بين يدين لفتاة وشاب داخل السيارة، ابتسمت ( س ) تلك الابتسامة الخجولة التي تعودت عليها عندما يقول لها ( ص ) من دون مقدمات أحبك، لكن الفتاة التي كانت تشاهد صور المجتمع الراقي نعتتهم بالفشل الأمر الذي جعل الكل ينتبه لهما لهذا صرخ السائق عليهما / المثالية ليست حكراً على المجتمع الراقي فقط فالفتاة التي نعتتها بالفشل .. منزعجة لأن صديقها لم يأتِ في الوقت المحدد على ( ماسنجر الياهو ) لهذا هي عصبية .. والسائق الذي يتعمد أن يختار أبعد الطرق التي توصل إلى بيت الفتاة التي تجلس دائما خلفه لتكن آخر واحدة .. هي غائبة اليوم لهذا هو متوتر.

المثالية ليست ملتصقة تماما بهم بل هي موضوعة في درج يخرجونها متى أرادوا.

الأغنـــية المفضلة لــ( س ) تبث الآن على شاشة التلفاز غيـــر أن إحـــدى الرســـائل التي كانت تمر على الشريط أسفل الـــشاشة لفتت انتباهها ( آسفة جداً ولكن لا تأتي، بالنسبة لي لا أريـــد أي علاقة من أي نوع .. آسفة جداً ) مرت الرسالة أكثر مـــن مـــرة على الشريط أسفل الشاشة .. قرأتها ( س ) لهذا لم تستمع للأغنية ؛ تذكرت رسالة أمها التي وصلتها على الموبايل اليوم من القاهرة والتي تخبرها / أن أخوتي بعد أن عرفوا قصة والـــدكِ سيرفعون قضية لتطليقي منه اعتني بنفسك يا ابنتي ولا تنـــسيني أرجوك تعالي لزيارتي، فأخوالك يسألون عنكِ .. أنتِ تزوجت وأنا سأكون وحيدة ...

تعود من جديد لمتابعة الشريط ويبدو أن الذي وجهت إليه الرســـالة كـــتب الـــرد .. لن أفقد الأمل وأنتظر منكِ تلويحة.. أعجـــبها الـــرد لهـــذا كتبت رسالة إلى أمها هي الأخرى عبر المـــوبايل " لم أفهم ماذا تعني بوحيدة .! لكن إن أردت الزواج فألف ألف مبروك وأخبريني بموعده ". / شعرت ( س ) بحسها الأنـــثوي أن أمها تريد الزواج لأنها اشتكت من الوحدة فالوحدة عـــدو للمـــرأة والـــرجل على السواء، واكتشفت بأن أمها التي أرسلت لها رسالة كانت لا تريد مواجهتها صوتياً.

أفــزعها صــوت الباب لقد عاد ( ص ) جاء في الوقت المناسب ليخلِّصها من ليلة مزعجة .. دخل ( ص ) وعلى وجهه شيء ما يريد إخفاءه أو يحاول لكنه بمجرد أن رأى ( س ) اندفع نحــوها وقبلها لكنها لم تكن قبلة شغف وهذا أثار رعب ( س ) ودفعهــا للاستفــسار عــن الموضوع .. أخرج جهاز موبايله وأعطاها إياه كانت فيه رسالة نصها ( أبلغك التعازي في أم ( س ) صــدمتها ســيارة فــي ميدان التحرير ننتظركم في العزاء .. المرسل خالها ) في البداية لم تصدق لكن قبل أن تنهار احتضنها ( ص ) شــعرت بدفئه وتذكرت أنها حذفت رسالة أمها الأخيرة لها وبدأت تتذكر كلمة الوحدة التي رغم أنها في حضن زوجها إلا أنها تسللت إليها.

* * * *

## الحالة الثالثة

# من لعبة الاستمتاع بالخيال

# من خربشات الفتاة ( س )

بعد مرور وقت على عزاء أمها وجدت ( س ) وقت فراغ كبير .. فهي لم تتمكن من الذهاب للعزاء في القاهرة لكنها ظلت تتذكر وتحلل رسالة أمها الأخيرة والتي اعتبرتها استئذاناً بالزواج .. الزواج الذي جاء بضغط من إخوانها .. لهذا رفعوا قضية الطلاق.

في الحقيقة رغبة الزواج لم تأتِ لأن أمها أصبحت تحت ضغط إخوتها، أو لأن والدها تركهم وذهب لخدمة الزاوية .. الأمر أبعد من هذا .. منذ زمن ليس بالقريب تعرف والد ( س ) على الثنائية المذهلة للروح والجسد لهذا اهتم بالروح وترك الجسد خصوصا أنه ليس هناك تصور واضح عن شكل الروح هل هي تشبه أجسادنا مثلاً ؟! لكن الأكيد أنها لا تمارس لذتها.. لهذا هي لا تتعذب ولا تدخل النار .! مع أنها تكون سعيدة والجسد يمارس لذاته.

وبما أن والد ( س ) اهتم بالروح فبالتدريج جردت أمها من متعة جسدها .. عاشت بروح ( أرملة زوجها على قيد الحياة.! )

" أنـــا وحيدة الآن أمي ماتت ولم أرها وأبي مات وأراه كل يـــوم ( ص ) زوجي الذي يهوّن عليَّ أحزاني .. حنون جداً، لكن علاقتـــنا مرهونة بصعود فتاة لحافلته تجيد الإغراء وبعدها سأدخل فـــي جحيمـــي أتمنى أن لا يحدث هذا، وإن كان لا بد من حدوثه فأتمنى أن يحدث بعد زواج ابن عمتي .. فعمتي هي الملاذ الأخير وابنها لا يريد أن يحترم وضعي الجديد كمتزوجة .. يذكرني دائماً بأننا كنا ندرس معاً في البيت في المرحلة الإعدادية.

ليس في تذكيره هذا براءة .. هو يذكرني تحديداً بذلك اليوم الـــذي فتح فيه عليَّ فصل تكاثر الإنسان بكتاب الأحياء .. لم نكن وقـــتها قـــد وصلنا إلى هذا الفصل .. لكنه أشار إلى رسمة بحجم الـــصفحة وقـــال لو جلستي بجواري في الامتحان وجاءني سؤال يطلـــب أن أرســـم هذه الرسمة أستطيع أن أغشها منكِ ؟.. اتسعت عيـــناي ففهـــم هذه الاتساع على أنه سؤال .. رفع فستاني ووضع ورقـــة بيضاء بين فخذي كان الأمر بالنسبة لي مفاجئاً لهذا تأخرت في أن أصفعه على وجهه .. عدت للبيت .. كلما حاولت أن اخبر أمـــي بما حدث خفت أن تذبحني خصوصا أنها أخبرتني أن المرأة عـــندما تـــسلم على رجل سوف تحبل منه، هكذا يأتي الأطفال .. عـــشت فتـــرة طويلة وأنا انتظر طفلي لكنه لم يأتِ وعندما وصلنا

لفصل التكاثر عرفت أن هذا الرسم يخصني .. وبمجرد عودتي للبيت أغلقت غرفتي ونظرت للرسم كثيراً ثم أخذت ورقة بيضاء وضعتها بين فخذي وأحضرت قلم رصاص رغبة مني في رسمه لأنني بدأت أشعر أنه لا يوجد شيء في جسدي يشبه هذا الرسم، والذي أكّد هذا الشعور هو أنني كنت مثار سخرية بنات فصلي .. اللواتي وفي فترة الاستراحة يخرجن رسائل أحباءهم .. كنت مثار السخرية ذلك بسبب الصفعة التي وجهتها لولد كان يقول لي كلام عيب وحرام " أنت جميلة أنا أحبك وكلمات أخرى .. . "

أعجب الكبار الذين شاهدوا هذا الموقف بهذه الصفعة وبدأ الأولاد يخافون مني وتسخر البنات.

بدأت بالجر بالقلم على المكان فكان الشكل الذي يرتسم على الورقة هو خط رأسي لا يشبه الرسم الموجود في الكتاب، خفت أن أكون مشوهة ولا يوجد عندي هذا الرسم ومع تكرر المحاولة .. اكتشفت بأن في رأس الخط مكاناً كلما مر القلم به انتابتني قشعريرة في جسدي اهتزاز كهربائي لذيذ .. ومع مرور الأيام عرفت المكان جيداً وكان يوجد به زر كلما ضغط عليه انتابتني هذه القشعريرية .. لكن بعد دخولي المعهد العالي للتمريض عرفت اسم المكان وعرفت كيف تحبل المرأة والرسم في كتاب الأحياء كان عبارة عن رسم

يــشرح هــذا العضو من الداخل، والأهم عرفت ماذا كنت أمارس بالمرور المتكرر على هذا الزر.

لا أعرف كيف هي تقاليد العزاء في القاهرة .. أبي جاء أول يــوم وجــاءت معـــه فرقة الحضرة وفي خيمة العزاء قرأ القــرآن بصوت عالٍ .. ثم دخل وعزاني .كنتُ محتاجة جداً له .. لا تبكي.. هي الآن بين يدي ربكِ تريد الرحمة .. تكلَّم كثيراً عن الرحمة .. لكن كلماته باردة .. لهذا تمنيت أن لا أراه مرة أخرى شعرت به ميتاً منذ زمن .../ هناك إضافة قد تكون مهمة .. إن الــذي دفع ( س ) لكتابة خربشاتها ليس فقط دافع الحزن علـــى أمها أو وجود وقت فراغ .. بل إنـها أنـهت قبل وفاة أمها مشاهدة مسلسل مكسيكي مكون من أربعمائة حلقة ومدبلج بلغة عــربية فــصحى .. ونتــيجة لهذا استطاعت أن تقرأ بسهولة الــصفحة الأخيرة من مجلة زهرة الخليج فوجدت روحها ثقيلة بهذا المخزون السمعي من اللغة والمخزون الكتابي من الإنشاء .. هـــي لم تعش اللغة بل سمعتها .. هذا يشبه تقريبا ما يحدث لشعراء القصيدة الموزونة، فتفعيلتها جاهزة في آذانهم.

* * * *

## الحالة الرابعة

# من لعبة الاستمتاع بالخيال

## لمـــاذا هـــربـت الـعـــروس لـيـلـــة عـرسـهـا

بدأت أحترم روح الاحتراف لديكم كلاعبين مهرة في لعبة الاستماع بالخيال .. خصوصًا في مهارة صياغة عنوان الحالة .. والتي يظهر فيها جلياً تأثركم بالروح الرومانسية التي جاءت مـــع روايـــات عبير التي تحمل في العادة هذا الكلاشية ( جواز ســـفرك للمشاعر الصادقة ) .. لكن سأقترح عليكم روح البحث الـــسطحي التـــي تبثها أجاثا كرسيتي في رواياتها البوليسية .. لنتخـــيَّل لماذا هربت العروس ..؟ و لكي نتيح فرصة لأكثر من رؤيـــة للتخيل .. سوف نقسِّم أنفسنا إلى مجموعات تبحث عن ســـبب الهروب مع الاختلاف في التناول .. فالمجموعة الأولى تـــنطلق من أن العريس شخصية متشائمة .. والمجموعة الثانية تفتـــرض أن العـــريس شخص يمارس هواية الرفض المطلق.. والأخرى ترى الموضوع من رؤية فنتازيه ...

هناك ملاحظة حتى لا تتشعب الأمور .. المكان غرفة النوم .. والحـــدث العـــريس يدخل على عروسه .. مع العلم أننا قلنا في الحالـــة الأولى من لعبة الاستماع بالخيال إنه عاد من الحرب ليس كما ذهب ..

## الجماعة الأولى

تجلـــس العروس على حافة السرير .. ثمة قلق يجتاحها لكنها تحاول أن تسيطر على نفسها .. خصوصاً أنها لم تره قط .. ولـــم يكن هناك أي شيء يوحي، بأنه سيكون زوجها .. لكن الأمـــور حـــدثت بسرعة .. سمعت خطاه وهو يتّجه نحوها من الردهة المؤدية إلى الغرفة .. ضمت ساقيها لبعضهما / ستحدث لذة لكن لابد من الألم في كل شيء.

وقـــف أمامهـــا مباشرة ومن دون أي كلام مدّ يديه ليبعد ساقيها عن بعضهما .. تراجعت للخلف لكنه أمسك بهما.

– دعنـــي أخلع فستان الزفاف أولاً .. فالكوافيرة حذَّرتني من أي نقطة دم ستقع عليه .. قالت إنها ستجعلني أدفع ثمنه .. ولن تكتفي بمبلغ التأخير.

لم يعرها أي اهتمام وهي تتكلم ألصقت ساقيها بعضهما .. حـــاول من جديد أن يبعدهما عن بعض، لكنها تراجعت للخلف بسرعة أمسك بهما بقوة وفتحهما .. وجهت لـــه رفسة في بطنه مـــن قـــدمها .. لـــم يتوقف .. بل وجه لها لكمتين في منتصف فخذيها .. لم تعد تشعر بهما .. أصبحا مرتخيين تماماً لهذا تمكَّن منها ...

ـ هذا هو المنديل فيه شرفك أعطيه لأمك في الصباح .. كـــي تطمـــئن وتطمئن أباك .. وأبوك يُطمئن القبيلة بأن شرفها مصان.

أخـــرج ملابـــس نومه من الخزانة ..أخذ مخدته وغطاءه وتـــوجّه إلـــى الـــصالة حيث التلفاز .. لن ينام معها .. بعد أن غـــسلت قطـــرة دم التـــصقت بالفستان .. لبست ملابس نومها الحريـــرية التـــي تلـــيق بهذه الليلة المباركة .. جاءت وجلست بجـــواره .. كـــان يدخنًا وقد أعد لنفسه شايًا أحمر .. لم يتكلم لدرجة أنها شعرت بأنه لم يشعر بوجودها.

هل تريد شيئًا ..؟

لا .. تصبحين على خير.

لـــم تفهم هذه الجملة .. لكنها أردفت قائلة: لا تريد أن تنام ..؟

نعم سأنام .. لا أستطيع أن أبقى مستيقظًا طوال الليل ..

هل ستنام هنا .؟

نعم .. هذا هو فراشي ..

وغرفتنا وسريرنا ..؟

هي غرفتك أنتِ .. أنتِ وحدك .. لا تظني أنني سأكون زوجًا بكل جدارة.. كانت لي مهمة وقمت بها أنتِ شريفة وهذا يكفي .. لا تطلبي مني أن تكوني أماً ...!

فأنا لا أحب مشاهدة الأفلام مرتين .. وزواجنا فيلم شاهدته ألف مرة من قبل .. اتسعت عيناها من الدهشة.

كيف شاهدته هل كنتُ متزوجًا ؟

انفجر ضاحكًا .. لا لم أكن متزوجا .. لكنني أعرف كل ما سيحدث بيننا .. سأنجب طفلاً يكون غبياً في المدرسة .. ويتركها مبكراً .. وسأهتم أنا بتزويجه .. وأنتِ ستكونين مادية جداً .. وستنجبين بناتًا لا يملكن شيئًا .. لا جمالاً ولا مالاً ولا دينًا قويًّا .. ويصبحن رسنًا في رقبتك .. هذا في حالة أنها لم تحدث حرب أخرى وسأجد نفسي فيها .. ثم أعود ربما في ليلة زفافك على الرجل الثاني .. أو تصبحين أرملة .. وتكونين سهلة للصيد .. لأن كل خدماتك ستمرر لكِ بسهولة .. كل ما عليك هو الحفاظ على الرحم خاليًا من أي حيوانات ..!

لماذا كل هذا التشاؤم ؟

هل تسمين الواقع تشاؤمًا ؟ ! هذا هو الذي أراه ومتأكد منه .. لهذا لن أعطيك الفرصة في أن تصبحي أماً وقريبا سأبحث عن فرصـــة كي أطلقك وأتخلص منكِ .. لتعرفي معنى كلامي فأنا لا أســتطيع احــتمال شخص يشاركني هواء بيتي .. قلت لأهلي هذا الكــلام لكنهم أصروا على تزويجي، بعد أن وضعوا حول رقبتي هــذه التعويذة .. وبعد أن شربت برميل ماء قُرئ عليه القرآن .. وتزوجتك في أجواء دينية .. لكن الموضوع خارج هذا السياق .. أنـــا رجــل أعرف كل ما سيحدث لي .. ولا أريد أن أخوض هذه التجــربة - الحــياة - فهــى مملة جداً .. هل تعرفين إحساسًا أن تــسمعي موالــيدك مطلــوبة من قبل الدولة .. لخوض الحرب .. وتــسلمين نفسك لأقرب معسكر .. وبعد انتهاء كل شيء ..تعودين للعمل فتجدين نفسك مطرودة من العمل لغيابك المتكرر والذي لم يبــرر .. وعــندما أخبرتهم بأنني ذهبت للحرب .. قالوا لي على الجهــة التــي طلــبت مواليدك إخطارنا بذلك .. وأنت لم يأتِ أي إخطار يريدك .. لو كنتُ بقيت لما ذهبت للحرب.

بدا كأنه يكلم نفسه ثم حدث صمت رهيب ملأ الصالة .. توجه للتلفاز الذي كان يبث أخبار انفجار حدث في منطقة ما .. ابتسم وهو يستمع للخبر ..

- مــازال أمامنا الكثير .. نحن نعرف جيداً كيف نصنع الجحيم الذي يليق ببهائنا ...

لم تجد شيئاً تقوله ..قامت دخلت غرفتها والرعب يجتاحها .. وعندما سمعت شخيره يأتي من الصالة.. ارتدت ملابسها ثم انسلت بهدوء من البيت ...

* * * *

## الجماعة الثانية

أغلقت غرفتها .. لتخلع ملابسها في هذه الوقت لا يدخل العريس إلا بعد أن تفتح العروس الباب لكنه دخل عليها بشكل مفاجئ .. غطت الجزء العاري من جسدها.

- اسمعي لن ننجب أطفالاً سنعيش كأزواج مخلصين لبعضنا..

اتسعت عيناها من الدهشة لأن هذا الحديث لا يجوز الخوض فيه الآن ...

هذا قراري فلن أفض بكارتك إلا بعد موافقتك.

لماذا لا تريد أطفالا ؟!

الحياة صعبة و لا يوجد فيها شيء يدعو لكل هذه البهجة .. مصطفى أنتِ لا تعرفينه .. هذا زميلي في السرية نفسها كان يحمل في يده خيطًا طوله حوالي متر .. هو مقاس بنطلون ابنه الذي خرج يشتريه له .. لأن ابنه كان مريضا ولا يستطيع الخروج للسوق.. وفي السوق كانت هناك حملة ( الالحاق ).. يبحثون عن عمر معين وكل ما يقع تحت طائلة هذا العمر يجد

نفسه .. في عربة ثم في طائرة ثم في ساحة معركة .. وهذا ما حدث مع مصطفى .. وعندما مات وجدنا في جيب بنطلونه هذا الخيط.

فكري فيما قلت .. سأكون في الصالة انتظر ردك ..

فكـــرت العروس كثيراً .. حمدت الله أنه لم يمس بكارتها لـــو فعـــل لوافقت مكرهة .. لكنها الآن أمام خيار مصيري .. نظـــرت للغـــرفة التي بدأت تضيق عليها توقفت عند النافذة ثم تقـــدمت نحـــوها .. أحـــضرت كرسيًّا كانت النافذة تطل على الـــشارع .. ارتـــدت ملابسها وصعدت على الكرسي ثم قفزت للشارع ...

* * * *

## الجماعة الثالثة

تجلـــس على حافة السرير .. سمعت صوت صفيره يملأ الـــشقة .. دخل عليها الغرفة ضمت ساقيها لبعضهما .. انفرج ضاحكاً ..

خائفـــة ألـــيس كـــذلك؟! .. هذا طبيعي لا تخافي .. تقدم نحوها وأخذ يدها اليمين ثم قبلها .. أول مرة تقبل من يدها لهذا شـــعرت بـــراحة تسري تحت جلدها .. أخرج من جيب بنطاله ورقة أعطاها إياها وطلب منها أن لا تفتحها .. إلا بعد أن يكمل حديـــثه .. وافقـــت على الشرط .. ملامح وجهها لا تخلو من الدهـــشة والاستغراب .. في تشاد كنت أعطي أطفال التشاديين الحلـــيب المعلب .. كان كثيراً .. ومع تكراري لهذا الفعل بدأت يـــصلني خبـــز ســـاخن ثم دعوة على غداء عائلي عند الشيخ ( الدودو ) لدية بنت وحيدة كنتُ أراها تحت تأثير المكان ملكة جمال وبعبارة أكثر دقة ملكة جمال الصحراء !

بـــدأت الأمور تتطور بيننا .. واللقاءات الليلية كثرت .. فكـــنت أعطـــيها الحليب المعلب وهي تعطيني حليبها – حليبها تـــستخدم بشكل مجازي فهي لم تكن متزوجة – لم أحبها وأيضاً

لــم أكــرهها .. لكنني كنتُ أشتاق لها كثيراً .. وعندما علمت بـسفري ورجوعــي إليكم .. طلبت مني موعداً في ليلة مقمرة وبعد أن قدمت لي وجبة من الطعام، لم أذق مثلها قط دست في يدي هذه الورقة.

الآن يمكنك أن تفتحيها وتقرئيها جيداً لأنها ستقول كلامًا لا يستطيع أي رجل أن يقوله .. وسأنتظر ردك ...

فــي الــبداية شعرت بكدر يخنقها يملأ صدرها كثيراً .. كــيف يعتــرف زوج بأنه خائن لزوجته .. لكن الفضول لفتح الرســالة كــان أقوى، خصوصاً أنها ظنت ما قاله مزحة لكنها ثقيلة الدم...

فــتحت الــورقة وأصابع يدها ترتعش .. والدموع تملأ عينــيها مكتوبة بحبر ثقيل كالحبر المستخدم في الكتاتيب ( لن تكون رجلاً إلا وأنتَ معي .. ولن يستطيع أحد فك سحرك فلقد ربطــتك لــي أنا .. ولن يفك إلا عن طريقي أنا .. فعلت هذا لأننــي لا أتخــيل الحياة من دونك ... ) فهمت ماذا تقصد هذه الرسالة .. وما الكلام الذي لا يستطيع أن يقوله أي رجل لامرأة .. قامت أغلقت باب الغرفة بالمفتاح .. وعادت لتجلس من جديد على حافة السرير .. وهي تفكر كيف ستعيش مع من يشبهها ..

وعــندما جالت بعينيها في الغرفة استوقفتها الستائر .. شعرت بنفسها ستكون معه مجرد ستارة جميلة بلا نافذة ..

أدوات التجميل ستكون من دون وجه ..

الملابس الحريرية ستكون من دون جسد ..

عرفت أن حجم التضحية أكبر منها !.

لهذا وبعد ساعات من التفكير.. قررت أن تخرج . فتحت الــباب .. كـــان ممددًا في الصالة ببذلته الأنيقة.. مرت بجواره نظـــر لهـــا بنظرات تحمل روح الوداع .. هي لم تتكلم .. لكنه طلب الرسالة .. أعطتها إياه ثم فتحت باب الشقة وخرجت ...

* * * *

# الحالة الخامسة

# من لعبة الاستمتاع بالخيال

## قتـــل العائـــد من تشـــاد

صـــوت صـــراخ يملأ الشارع الذي تسكن فيه ( س ) .. جارهـــا قـــتل .. والقاتـــل بعد قتله ذبح نفسه .. لبست ( س ) ملابـــسها سريعاً وذهبت تعزي .. بدأت النساء تحكي القصة .. كـــان جارها يقف في ناصية الشارع .. إلى أن توقف تاكسي هـــبط منه رجل أسمر عجوز .. لم يخف جارها بل تقدم نحوه وهو يبتسم .. غير أن العجوز .. وأثناء احتضان جارها له .. أخـــرج سـكـينه وطعـــنه في ظهره و عندما سقط جارها على الأرض .. طعـــنه فـــي قلـــبه .. والغريب أن العجوز لم يفكر بالهـــروب .. خـــصوصاً وأن أحداً لم يقترب منه .. بل وضع السكين على رقبته وذبح نفسه .. وسقط بجوار جارها ...

كانت أخته تحكي هذه القصة وهي في حالة هستيرية ..

( ص ) هو الآخر كان في العزاء وسمع القصة ذاتها .. لكن عندما نام بجوار ( س ) سألته عن سبب القتل قال ممن أحد يعرف الرجل عرفوا اسمه فقط ...

* * * *

## الحالة السادسة

# من لعبة الاستمتاع بالخيال

## ( ص ) في عـزاء ابـن عـمـه

عـــندما جـــاء صوت عمه في الهاتف يخبره أن ابن عمه الكبيـــر قد توفي .. تذكر كم مرت سنة ولم يرهم.. ولم يعرف أخـــبارهم .. بعـــد انتقاله إلى ( رباية الذايح ) هذه هي التسمية التـــي كانوا يطلقونها على بنغازي في الوقت التي كانت حالتها الاقتـــصادية منتعشة .. بالنسبة لـــ ( س ) كانت هذه أول مرة تـــرى فـــيها مسقط رأس زوجها قريته التي لم يتكلم عنها يوماً ( رأس التـــين ) الجـــرح الـــيابس الموغل في البحر .. الشرخ المائـــي فـــي اليابسة .. السكان المعتمدين على زراعة خفيفة وعدد قليل من الأغنام .. والاعتماد الكلي على البحر ...

كان يفكِّر ماذا سيقول لتوبيخ جدته التي يكبر المكان من حـــولها وهـــي لا تكبر .. تكتفي فقط بإضافة خط من التجاعيد يظهـــر على جبينها كلما تحدثت معه بعصبية .. هاهي سيارته تنحرف باتجاه البحر .. السواني الصغيرة .. والأغنام القليلة التي تعترض الطريق .. يرى خيمة العزاء على التلة الرملية .. وجـــد أخ المتوفى وعمه الصغير. عزّاهم جميعاً ..ثم بدأ يسأل عـــن سبب الوفاة خصوصاً أن المتوفى لم يتجاوز الخمس عشر

ربـــيعاً .. عـــرف أن سبب الوفاة إصابته بالوباء الكبدي .. من عملـــه في السبخة.. كان الشباب يعملون بها عندما تطول فترة ( النوة ) في البحر ولا يستطيعون الدخول إليه.

أثـــناء حديـــثه معهم انتبه إلى أنه لم يرَ عمه والد المتوفى .. ســـأل عنه .. أخبروه أنه في مصر منذ سنة تقريباً وعندما سأل عن السبب لم يلقَ إجابةً .. كاد أن يعيد السؤال لولا أن الغداء قد حضر.

السؤال ظل ملتصقا في ذهنه لم يبرحه.

من مدة لم تأتِ ..؟ نعم .. من خمس سنوات تقريباً من زفافـــك .. هل لديك أطفال ؟. ثلاثة والرابع في الطريق أنا لم أُســـمِّ على اسم أبي .. لكن الرابع سيكون اسمه على اسم أخي المرحوم .. وأنت هل لديك أطفال ؟ لا .. مؤجل الموضوع .. الحياة في بنغازي صعبة . دخل عليهم الحَّداد الذي يحمل لوحة معدنـــية مكـــتوباً عليها اسم المرحوم سنة ميلاده سنة الوفاة مع طلـــب الرحمة له .. هذا ما يتبقى لنا بداية اللحن لمسة الريشة للوتـــر .. وعلى قوة اللمسة يتردد صدى صوت الوتر إلى أن ينتهي .. قام ابن عمه الذي يجب عليه أن يثبت اللوحة المعدنية عـــند رأس المرحوم .. وأثناء خروجهم وهم يمرون بين القبور .. سأله أين ذهب عمي ولماذا كل هذا الوقت في مصر ..؟

في شتاء العام الماضي جاءت رياح شرقية بمطر وأنت تعرفها عندما تأتي الرياح الشرقية بمطر .. تكون قوية.. هذه الريح القوية الممطرة استطاعت أن تهدم إحدى القشور الصخرية للشاطئ .. ليكتشف أبي بأن هناك كهفًا خلف هذه القشرة .. ظل يراقب الوضع إلى أن هدأت الريح .. غطس في البحر و دخل الكهف .. وجد فيه تمثالاً صغيرًا .. وجرتين ممتلئتين بعملة قديمة .. ظل الموضوع سرًّا ولم يعرف به أحد حتى عندما جاء رجال من مصلحة الآثار ..اعتبروا الكهف أثريًّا ولم يجدو شيئا .. الوحيد الذي أخبره أبي بالقصة كان ( سي سليمان ) .. سائق الشاحنة التي ينقل بها المادة الخام للأسمنت ( الكلنكر ) من ليبيا إلى مصر .. وهو الذي اقترح عليه أن يبيعهما في مصر .. ونسّق له الموضوع في خان الخليلي .. بعد أن أخذه معه في رحلة وخبَّأ التمثال والجرتين في ( رديم الكلنكر ) .. ومنذ ذلك اليوم لم نسمع عنه شيئًا .. كان يبعث لنا دولارات .. مع سي سليمان .. إلى أن توقَّف نقل ( الكلنكر ) الى مصر.

انقطعت أخبار أبي تماماً .. لهذا ظننا أنه قُتل وأخذت نقوده هناك .. ذهب عمك يبحث عنه وبعد شهر رجع. قال إنّه

لــــم يلتقِ به .. لكنه على قيد الحياة .. وفي حديث سمعته خلسة لعمي مع جارنا صديق أبي منذ الطفولة قال لقد وجدته يعيش مع امــــرأة – اســـتغفر الله – .. وعندما طلبت منه الرجوع قال إنه حاول ألف مرة أن يرجع، وكل ليلة وداع حارة يقضيها مع هذه المــــرأة .. تــــسمعه أغنية وردة ( " خليك هنا خليك .. بلاش تفارق " ...الخ ).

أنــــا تــــزوجت وأصبح لي ثلاثة أطفال والبحر هو مكان عملــــي .. وعليَّ أن أضمن مستقبل الأطفال .. لهذا توقَّف أخي عن الدراسة وبدأ يعمل في السبخة .. وهناك تعلم شرب الخمر .. ومع الخمرة المصنعة محلياً والملح المحلي .. أصيب بالوباء الكبدي .. وأبي هناك يستمع لأغنية "خليك هنا" ...

أثــــناء المــــشي داخل المقبرة وابن عمه يغني بصوت هادئ " خليك هنا خليك " .. مر ( ص ) بالقرب من لوحة معدنية أكلها الصدأ .. المرحوم ... مواليد ... سنة الوفاة ... اقرأ له الفاتحة ...

أنا ذايح في بنغازي أبحث عن التربية وأنت ذايح هنا .. وكنت قبل قليل .. ذائح في البحر .. لا تبحث عن شيء غير أن تكون ذائح ..

كلانــــا ذائــــح لكننا لا نتشابه .. أنا ذائح في مدينة نسيت

نفسها تماما وأنت ذائح في قرية تعرف تفاصيل الريح .. ولا تنسى شيئا .. حتى وأنت ميت تذكرني بواجبي .. الله يرحمك يا أبي ...

بعد أن قرأ الفاتحة مروا بالمساحة البيضاء بلون الثلج لكنها أكثر قسوة منه .. وأكثر ملوحة .. الأطفال يعملون .. بها يخرجون الملح بحبل أيامهم المالح .. هذه هي الكلمات التي كان يرددها في ذهنه وهو متجه إلى بنغازي .. غير أن صوت ( س ) قاطعته .. بهذا السؤال ..

- هل عمك تزوج ومقيم الآن في مصر بعد أن هرّب الكنز ؟

- من قال لكِ هذا ؟

- جدتك ...

- جدتي كل من حولها يكبر إلا هي .. تكتفي فقط بأن تضع خطًّا من التجاعيد على جبينها يظهر كلما كانت عصبية ....

* * * *

# قصــص أخــرى

# دوران

على درج المسجد الكبير جلستُ كي أتمتّع بالنظر لجزيرة الـــدوران .. ســـيارات تدور .. تدور.. ثم تخرج لتأتي أخرى تدور وتدور ثم تخرج .. ثمة صخب، أناس تتكلم مع أناس هم أيـــضا يـــتكلمون، ولا أحد يسمع أحدًا .. المهم أن يتكلموا .. ثرثـــروا .. ثرثـــروا.. أطـــيلوا الكلام إنني أخاف عليكم من الـــصلعة الداخلـــية .. لو كان سعيد المحروق على قيد الحياة لكـــان شـــاهد صورة حقيقية لصورته الشعرية هذه .. حاولت إغماض عيني مادمت المستمعٍ الوحيد لهؤلاء و هؤلاء، فلست بحاجة لعينيّ .. ( هذا ما كنتُ أظنه في البداية لهذا سأخبركم ما لذي حدث فيما بعد ليغيّر ظني ).

مـــا يفصلني عن الرصيف ثلاث درجات وهكذا سأكون مستمعًا جيدًا ...

الثـــروة ليست نقداً هي أسهم في شركات .. تخيّل عمك ( أعمرْ ) يملك أسهمًا في شركة ويتابع البورصة.

عمك ( أعمرْ ) الذي تعلم كيف يحذف القنوات التي تعرفها مـــن الـــستالايت في النهار ثم يعيد تخزينها في الليل .. وسط هذا

الحــديث كانت هناك خطوات تناديني، أعرف جيداً هذه الخطوات .. إنهــا لفتاة ترتدي بنطلون جينز فيه لطختان بفرشاة بيضاء على الأرداف .. وشــعر يتأرجح بين البني و الأسود انسل بهدوء من تحت عتمة الحجاب.

لــو سمحت هل تدليني على طريق مقهى الصفوة .. كان صــوتي هادئا ومؤثرا تمام كبداية أغنية ( كيفك أنت ) لفيروز .. ملامــح وجههــا تغيرت عندما اقتحمتها بسؤالي لكنها بدأت ترتاح عندما سمعت نبرة صوتي الهادئة والمؤثرة.

أنت لستَ من هنا ..

نعم جئت لطرابلس - هنا توقفت لماذا جئت لطرابلس لم يكن لي سبب واضح غير رغبة قوية في الصعلكة - للعمل.

أشارت لي بأصبعها نحو نهاية شارع تكونت على وجهي ملامــح رفض غير معلنة، كنتُ تعلمتها من صديقتي التي كلما دعتنــي لمغامــرة غيــر محسوبة ارفض./ قلت مغامرة غير محــسوبة .. كأن تدعوني لبيتها بعد منتصف الليل وإخرج قبل الفجــر بنصف ساعة لأن أباها يستيقظ لصلاة الفجر .. قمت بهذه المغامرة مرة واحدة نجحت في دخول بيتها وغرفتها لكنني وبــسبب الخوف لم أنجح معها.. من تلك الليلة كلما دعتني لهذه

المغامـــرة تـــتكون على وجهي هذه الملامح مع ألم خفيف في الحجاب الحاجز للمعدة.

لكننـــــي أعرف بأن هذه الملامح تكونت على وجهي الآن ولكن من دون ألم في منطقة الحجاب الحاجز.. لهذا تطوعت بأن توصـــلني .. أمـــسكت بيدها لنعبر الطريق لم أترك يدِها .. في بنسر يدها خاتم .. هل أنتِ متزوجة .. لا مخطوبة وأفكّر أن.

لماذا ....؟

اليوم عيد ميلادي ولم يتذكره

أووووووو هـــذا القاسي فترة الخطوبة صالحة للاحتفال بهذه المناسبات ..

انسجمت لفكرة أنه قاسٍ، هو يغار لدرجة أنه يكره رامي عياش أهديته ألبومه الأخير بحبك أنا .. لكنه كسره أمامي بسبب غيرته منه./ هذه الأغنية اليوم سمعتها في المطعم الذي تغديت فيه لهذا غنيت لها الأغنية، لكن بنبرة الصوت الهادئة والخشنة والمؤثرة ...

بحبك أنا

بحبك أنا

اعتبـــرت هـــذا الموقف قمة الرومانسية لكنني لم، أعطها فرصة للتفكير فيما يحدث وغنيت جزءاً آخر من الأغنية، لكنني وضعت يدي هذه المرة على خصرها فوق الأرداف تماما ..

مش حلوة أتعذب منك أنا.. لأني أنا مافيا شيلك من قلبي .. يا قلبي أنا .. لا تنسى أدموعي الليلات حبيبتك انا ....

الأمـــور تسير بيننا أسرع من المتوقع، لكن هذا ما حدث فعلاً ومادام هناك شيء حدث سأخبرك ومن دون خجل بالشيء الذي لم يحدث.

لـــم تكـــن هناك فتاة ترتدي بنطلون جينز ملطخ بفرشاة بيضاء عند الأرداف ..

ولـــم يكـــن هناك شعر بني مائل للسواد منسل من تحت عتمة حجاب ..

ولم يكن هناك حجاب .. ولم تتكون ملامح ترفض بخجل

ولم تكن هناك فتاة تعرض عليَّ مغامرة غير محسوبة

ولـــم يكـــن هناك والد يستيقظ لصلاة الفجر ولا بيت ولا غرفة ولا نجاح ولا فشل ..

ولـــم تكـــن هـــناك نبرة تشبه صوت فيروز وهي تغني ( كيفك أنت ) ..

ولم تكن نبرة صوتي هادئة ومؤثرة ..

ولـــم تكن هناك ملامح تخاف في البداية ثم ترتاح للهدوء في الصوت ولم يكن هناك صوت خطوات أعرفها تناديني ..

لـــم يكـــن هـــناك عمـــك ( أعمرْ ) الذي يمتلك أسهمًا وســـتالايت يعرف كيف يحذف القنوات التي تورطتم بمعرفتها مرغمين لقوة سلطة السارد ..

ولم تكن هناك ثروة ..

كـــل الذي كان فعلاً هو شاب يجلس على درج المسجد الكبيـــر، ولا يعرف اسمه يغمض عينيه أحيانا ويفتحها، عندما يحتاجها ليراقب ببلاهة دوران السيارات حول جزيرة الدوران، وهو مستغرب من كيفية خروجها من هذا الدوران.

* * * *

# بيـن خيـاريـن أو أكثـر

الـــسيدة التـــى أفرغتنـــي بـــذكائها من الأصدقاء .. بحجة الخصوصية .. تعاقبني لأنني لم أعجب بلون ملابسها الزهري أو لأنها لم تعجب بي. كنتُ كمن يغلق أذنيه وسط الضجيج .. المشهد يعج بحركة بلا صوت .. وأنا بين احتمال النوم أو الخروج وحيداً .. أنـــا الـــذي يحـــب الـــزحام البشري لأنه يشعرني بالاطمئنان والحـــياة.! لا أكره أحداً ولكنني أختار مَنْ أحب .. وأحترم جداً ما يزعجنـــي في الآخرين... في مقهى فندق الواحات طاولات قليلة بمفارش وردية فوق كل واحدة منها مزهرية صغيرة .. هي نعش لوردتـــين ذابلتـــين .. بجواري سيدة أجنبية في منتصف العمر .. شـــعرها قـــصير .. شفتاها صغيرتان ممتلئتان بالخطوط الرفيعة الغامقـــة، إمَّـــا من كبر السن أو من طبقات أحمر الشفاه القديمة. جاءني النادل بفنجان كابوتشينو كبير .. معه ثلاثة أكياس صغيرة من السكر وملعقة .. أفرغتُ الأكياس كلها وبدأت بتحريكها داخل الفـــنجان .. فـــي حـــركة دائرية سريعة .. لهذا خرج القليل من الكابوتشينو واستقر في صحن الفنجان .. كانت عادة وضع السكر

جديــدة عليَّ .. أنا متعود على كل شيء يأتي بسكره .. الشاي .. القهــوة .. العصير .. لستُ متعوداً على فكرة اختيار ما يناسبني.. مــنذ الصغر وأنا متهم بعار المزاجية أو اللامبالاة. أحضر النادل الفــنجان نفــسه للمــرأة الأجنبية .. ونفسها عدد أكياس السكر .. الاخــتلاف الوحيد هي الابتسامة التي بادرها بها. أفرغتْ كيسين وأخذتْ الملعقة الصغيرة .. وبدأت في التحريك .. حركتها دائرية مــثل حركتي .. لكنها بطيئة جداً.. أصابعها نحيلة .. تشبه إلى حد كبير أصابع أميمة خليل وهي تمسك المايك وتغني بجوار مارسيل خلــيفة .. أصــابع مــن الماس .. رغم أنها أكبر من أميمة لكن أصابعها نضرة .. الملعقة مثلُ ملعقتي بيضاء وبلاستيكية وصغيرة لكنها أجمل منها في يدها.. تشبه الريشة .. انتهتْ من التحريك .. أخــذت الفــنجان بيدها اليسرى وتوجهت به نحو شفتيها .. رشفة أولــى .. وأنــزلته .. علــق جزء صغير من رغوة الكابوتشينو السميكة بشفتها العليا مكوناً شكلاً يشبه نصف دائرة .. أو هلالاً .. هلالاً وسط سماء من اللذة أو هلالاً رسمه طفل على قماشة حمراء عتــيقة. أخرجت طرف لسانها في حركة طفولية تليق بامرأة في منتــصف العمــر ومــسحت الرغوة ... أثناء متابعتي لها نسيتُ فنجاني .. تحريكي السريع أزال رغوته السميكة .. وعندما أخذتُ أول رشــفة كانت باردة وحلوة حد الحرقة... وسط هذا المشهد لم

أتكلـــم مـــع أحد ومازالت الحركة تسير حولي بلا صوت .. لكن هـــناك مَـــنْ يراقبني ـ غير الله طبعاً ـ كان رجلٌ هو الآخر في منتـــصف العمر .. من سمرته عرفت أنه ليبي .. رفع لي حاجبيه فـــي تحـــية شعبية لا تليق بالمشهد .. وبحركة من رأسه أشار لي نحو المرأة .. وعندما لم أفهم .. حمل كوبه وجلس إلى طاولتي .. وقـــبل أن يحييني طلب مني أن أنظر باتجاه صدر المرأة .. كانت تـــرتدي قميصاً أبيض لم تغلق كل أزراره .. آخر زرين مفتوحين .. لهـــذا وبشيء من الاقتحام يمكن رؤية بداية منبت الثديين .. بدأ الـــرجل يحدثني عن المشترك الذي وجد بيننا .. حاولت أن أخبره بأننـــي كنتُ مشغولاً بطريقة تحريكها للسكر أو أنني مهتم بجمال أصابعها أكثر من ثدييها .. لكنه بدأ يحكي لي أين تعمل ومتى تأتي لـــتأخذ فـــنجان الكابوتـــشينو .. بيننا مشترك متين .. مشترك ولد صـــدفة مـــن ســـوء الظن.. غير أن النادل غيّر محطة التلفاز .. لتخرج لنا فيروز بملابسها البيضاء وبصوتها الذي تجاوز منتصف العمـــر .. تعلـــن حبها للبنان .. فيروز هي الأخرى لا تكره أحدا ولكـــنها اخـــتارت حـــب لبنان.. وأنا لم اختر هذا الرجل ليجلس بجـــواري .. لكنني مجبر على احترام ما يزعجني فيه .. أنقذتني صديقتي البعيدة باتصالها .. لهذا قمت وخرجت للصالة بحجة أنني لا أســـمع صـــوتها .. وقفـــت تحت التلفاز المعلق في السماء ..

صـــديقتي تخبرنـــي بأنهـــا ستصوم غداً تطوعاً للبنان .. وفيروز ســتحب لبنان كما سيكون. خرجتُ من المقهى بسرعة .. وقررت الـــنوم .. في المصعد كنت أنا وفتاة .. اقتحمتني بسؤال ( خيرك ) مـــتجهم؟ وضغطت معي على رقم الطابق السابع .. كنت أعرف بأنها تسكن في الطابق الأول من الفندق المصعد بطيء .. يتوقف تقريبا عند كل دور .. ولحسن الحظ لم يصعد أحد .. لهذا وبعد أن تـــرددتْ فـــي الإجابة عن سبب صعودها للطابق السابع .. طلبتُ منها أن تأتي لنشرب عصيراً في غرفتي .. كنتُ أتوقع أن تشتمني أو علـــى الأقـــل تتجاهل طلبي لأنه لم يكن بقصد الرغبة أكثر من الهـــروب مـــن استجواباتها.. لكنها وافقت.. في غرفتي وبطريقة لذيذة قالت : كم ستدفع؟ لن أدفع شيئاً .. كل ما أملكه هو الندم أمام الله .. أو الاستجابة بالصوم. أخبرتني صديقتي عنك وعن أسلوبك وعـــن هدوئك .. لم أسألها من صديقتها التي أصبحت مديناً لها .. وبدون مقدمات تحدث دائما في مواقف الغرفة المغلقة بإحكام على رجل و امرأة .. انتعلتني ../ أعرف بأن هذه المفردة غير مناسبة لكـــنها محاولة لشحنها بروح بعيدة عنها. لم تكن هذه المرة الأولى التـــي تـــصعدني فـــيها امرأة بدون مقدمات .. حدث هذا وأنا في الإعدادي .. يومها وصلنا قرية بعد سفر ساعة وصلنا ليلاً .. كان ســـفراً بالنسبة لي مفاجئاً.. نزلت أمي من السيارة وهي تصرخ ..

لـــم أكن أعرف .. وإلى الآن درجة قرابة المرحومة بنا .. لكنني أعــرف جيداً ابنتها التي كانت في الجامعة في ذلك الوقت .. كان الوقت متأخرا لهذا وبصعوبة كبيرة وجدتُ غرفة فارغة نمتُ فيها .. النــساء لـــم ينمن بعد .. المحيط كله يصرخ .. وبعد ساعة من الـــنوم تقريباً وقف أمامي شبح بالغرفة المظلمة .. الإضاءة توجد خلفـــه لهـــذا بـــدا لي كتلة سوداء .. استيقظت للتأكد .. كانت ابنة المـــرحومة .. جلـــست بجواري وبدأت تبكي وتمسح براحة يدها الجدار الذي كنا نتكئ عليه .. هذا الجدار مشترك مع جدار الغرفة التـــي ينام فيها جسد أمي .. هذه آخر ليلة لها في هذا البيت .. هذا مـــا قالته .. أفزعتني فكرة النوم بجوار ميت يفصلك عنه جدار .. أخذتُ رأسها ومسحت دموعها محاولة لزرع الصبر فيها .. لكنها بـــدأت تحتـــضنني .. الموت مفزع ومخيف .. تحتضنني بقوة .. وتقبلنـــي .. وتطلـــب مـــن الله أن يتركنـــي لأمي .. كان فهمي لتـــصرفاتها فـــي حدود الانهيار .. إلى أن دفعت الباب برجلها .. أصـــبحت الغرفة مظلمة .. وأنا وهي .. هي رأسها في حضني .. رفعت رأسها وأطبقت بشفتيها على شفتي .. وفي حالة من الهيجان دفعتني أرضا وانتعلتني .. أثناء انتعالها كانت تدعو لأمها بالرحمة .. وللمـــوت بالموت. بعد أن هبطت من عليَّ .. أشعلت التلفاز .. لأجد فيروز لم تكف عن حبها للبنان .. وصوت الموبايل بجواري

ينبهني بوصول رسالة .. رسالة من صديقتي التي أصبحت مبادرتها بالصيام أكثر انتشارا .. قمت من السرير .. وأخرجتُ ملابس للاستحمام .. نظرتَ لي الفتاة التي لا اعرف اسمها إلى الآن باستغراب.. كان هناك اتفاق غير معلن أو لم يتم الحديث فيه .. بأن هناك انتعالاً ثانياً وثالثا و... دخلت الحمام .. وتذكرتُ بأنني في الطابق السابع .. وهذا سيسهل علي عملية الندم.. عندما خرجت لم أجدها .. وجدت السرير بتجاعيد ملاءته اللذيذة .. خرجت للشرفة .. عندما هممت بطقوس الندم لم أعرف ما أقول .. وتذكرت بأن هذا هو الخيار الوحيد الذي اخترته أنا ليضاف إلى عدة خيارات أخرى لم اخترها.. لكنني تذكرتُ بأنه محاولة للهرب من دفع الثمن .. تماماً كما فعلتُ مع فنجان الكابوتشينو الذي تورط في دفع ثمنه الرجل الذي ابتدع بيننا مشتركاً .. وتماماً كما فعلتْ بي المرأة ذات الملابس الزهرية عندما أفرغتني في لحظة من أصدقائي .. وورطتني بكل هذه الخيارات التى لم اخترها.

* * * *

# عن الكبت والإباحية

## ( 1 )

لا أعرف متى عرفت بأن هناك إناثاً أبعد من أمي. لكنني أذكر تفاصيل المشهد العالق دائما بذاكرتي .. كنت صغيراً وكان يسمح لي بدخول مدرسة البنات المجاورة لبيتنا .. سمح لي بالدخول لسببين أولهما صغر السن وأنني لا أشكل خطر على الفتيات !. والثاني أنهم كانوا يسمحوا لأمي ببيع الحلويات داخل المدرسة .. لهذا استغل الشباب وضعي الخاص واستخدموني كساعي بريد لحبيباتهم داخل الأسوار .. لم يكن موقفي مجاناً ولا نبيلاً .. وبعبارة أخرى لم أكن تعرفت على هذه المصطلحات بعد. كنت أحمل الرسائل مقابل أن أخذ ثمن حلوى أشتريه من أمي .. وكذلك كنتُ آخذ من الفتاة التي أحمل لها الرسالة عددًا من القبلات .. وأعطيها ثمن الحلوى لتشتري لي .. حتى لا تنتبه أمي بأن معي نقوداً. بعد هذه المرحلة خصوصا في فترة دخولي الإعدادية ولأنني كنتُ في

مدرسة للذكور فقط .. ونتيجة للاهتمام الذي رعتني به والدتي كــنتُ مــتفوقاً في الدراسة صاحبَ هذا قراءتنا لبعض شعراء الرومانــسية الأمــر الذي جعل مدرس اللغة العربية يهتم بي، وكــذلك التلامــيذ.. لكــن كُلاًّ منهما كان اهتمامه مختلفاً عن الآخر.

الأســتاذ أعطانــي ( رواية الشاعر ) للمنفلوطي .. والتلامــيذ كنتُ اكتب لهم رسائل الحب لحبيباتهم .. لكنني بعــد أن قــرأت ( الشاعر ) توقفت عن كتابتها. كنتُ فعلاً أشــعر بإعجــاب اتجــاه الفتيات وخفت أن يكون مصيري مأساوياً مثله.

* * * *

## ( 2 )

دخلـــت تقـــوية لمادة الانجليزي .. وفي مجموعة الدرس توجد فتاة .. فتاة وحيدة وعدد كبير من الذكور.. شعرت اتجاهها بمـــشاعر مـــثل تلك التي كانت تنتابني عندما تمر بجواري فتاة كتـــبت لهـــا رسالة باسم حبيبها. في هذه الفترة من العمر لم أكن صاحب وجه ممتلئ.. كنتُ نحيفاً الأمر الذي يجعل شفتيّ تبرزان إلـــى الأمـــام .. لم أكن ألاحظ هذا .. إلى أن أخبرتني به الفتاة الوحيدة .. أخبرتني الحقيقة بشيء من القسوة .. جاء هذا بعد أن أعطيتها رسالة مزقتها مباشرةً وأخبرتني بأن اهتم بوجهي أولا .. لم أستطع أن أكمل دروس الانجليزي .. انسحبت... أثر في هذا الأمـــر كثيـــراً .. ما حدث هو ما أعتقد بأنه جرح لا ينزف لكنه جـــرح ولهـــذا السبب أحمله إلى الآن بعد مرور كل هذا الوقت خـــصوصاً بعد أن اكتشفت بأن هذه المرأة غبية لأنها أتيحت لها فرصـــة أن تجد ذكراً ورفضت .. ويكمن غباؤها في أنها كانت قبيحة جداً وأسنانها كبيرة وبارزة إلى الأمام .../ لو تركناه يمكن أن يمـــلأ ألف صفحة بيضاء من الحقيقة الوقحة التي تزعجه .. الضحية عندما تمسك سوط الجلاد سوف تتحدث بنفس اللغة.

( 3 )

بعد دخولي الجامعة أكتشفت بأنني لم أُشفَ من جرح الفـــتاة .. رغم أن وجهي امتلأ ولم تعد شفتاي بارزتين .. كما في السابق .. لكنني لم أبدِ أي اهتمام خارجي بالفتيات كـــنتُ أستمتع بالإيقاع الداخلي لمشاعري .. إلى جاءت فتاة وســـألتني عـــن جدول المحاضرات .. كلما رأتني بادرتني بتحـــية. كنت أشعر بأنه يمكن أن تكون هذه الفتاة.. الشفاء الحقيقـــي مـــن الجـــرح الذي لايزال ينزف .. لكن الأمور ازدادت ســـوءاً عندما اكتشفتها جالسة تحت شجرة مع شاب يـــبدو أنها تعرفه منذ زمن وأن علاقتهما حميمة جداً. رغم أنهـــا قالت لي هذا الصباح " صباح الخير " .. المرأة مثل الماء تشعر بوزنها في يديك ومجرد أن تفتحهما تتسرب بكل هدوء ./ يبدو أنه سيبدأ في الثأر .. لكنه لم ينتبه لاعترافه بأنـــه كان مشغولاً بالاستماع للإيقاع الداخلي .. الشخصية الرومانـــسية مطلقة دائماً .. الكل يجب أن يدور حولها .. وتمركزها حول النواة الصلبة للذات فيه ما فيه من محاكاة للإلهة .. لم يكن آدم رومانسيا لهذا بحث عن أمنا حواء. لو

كان رومانسياً لكان اكتفي بسيادة البشر والملائكة والجان .. لكـــنه حافظ على ما هو إنساني فيه، وبحث عن حواء. بعد هـــذا الـــسرد وجدنا كل شـيء عن الكبت ولم نجد شيئاً عن الإباحية التي كنا ننتظر.!

* * * *

## صخب صامت

أنظر لسقف الغرفة، ممددة بجواري عيناها مثبتتان بالسقف كعيني .. كلانا لا ينظر بالاتجاه ذاته، أراقب الذرات الصغيرة التي تهبط منه باتجاهي وتخترق جسدي .. الضوء المنبعث من الشموع التى زينت بها الغرفة ترسل رائحة عطرية لم أستطع تحديد نوعها.!

بالنسبة لي لم تكن هي إلا رائحة أو مجموعة روائح .. أشعر بأنني مجرد روحٍ جائعة تبحث عما يشبهها !

رائحة كحل ..رائحة ظلال فوق الجفنين . شذى إبط معتبر .

شذى أحمر شفاه . شذى عطر موضوع معتن به خلف الأذنين. عبير حنة مشتعلة في الأقدام الطرية. عبيرها وهي مبتلة بي، وأنا مبتل بها .. عبير مناديل ورقية مبللة. رحيق معجون أسنان بنكهة النعناع معطر فم بنكهة الخوخ اشتريته من محل تبغ، أفرغته كله بفمي دفعة واحدة بعد أن دخلت لتتوج نفسها بهذه الروائح.

علــى شاطئ رأس التين بعد أن تعلو الشمس صباح يوم الــسبت كنا نستلقي على رمال الشاطئ ناظرين نحو السماء التي تهبط منها ذرات صغيرة بأشكال مختلفة وتخترقنا دون ألم .. كنا نظن أنها الحسنات .! فنتسابق على حصاد أكبر قدر منها من أجل غسيل ذنوبٍ من عشية الجمعة وصباح السبت.

يخــرج الرجال من صلاة الجمعة تمر الحافلة التي تحمل عمــال الشركة الأجنبية وزوجاتهم متجهة نحو البحر .. رجال قــريتنا مازالوا مجتمعين أمام باب المسجد عقب الصلاة .. كنا نلاحــظ الفرحة التي ترتسم على وجوههم لرؤية الحافلة .. تلك الفرحة المصحوبة بنشوة مكبوتة يدار الحديث بينهم بتقنية صعبة ليست إشارات ولا كلمات. بل كانت بهذا المعنى الحديث بهمس عمَّا لا يمكن البوح به .!

بالنسبة لنا كأطفال لم نكن نعرف هذا العناء .. كان يسمح لنا بالسباحة مع زوجاتهم بملابسهن المكونة من قطعتين .! لكن بعــد أن نعد لرجالهم الحفر التي سيدفنون فيها أنفسهم .. كانت عــند الــرجال الأجانــب عادة دفن أجسامهم في رمال الشاطئ الــساخنة وقت الظهيرة لم نكن أطفالاً بما يكفي .. كنا نعرف ما يثيرنا في غيرنا لهذا كنا نخترع لعبة الغوص خلف الحجارة

التـــي ســـنلقيها فـــي القـــاع وننتظر منَ مِن النساء ستغطس وتحـــضرها ومجرد أن تضع رأسها في الماء نأتي خلفها لرؤية خصرها الذي سيرتفع فوق الماء .. ليحدث الشروق في وجهنا وقـــت الظهيـــرة .. وننتظر خروجها بالحجارة كي نرى ثدييها وهما متدليان خلف الحمالات.

كانـــت أثـــداء نسائنا اللواتي يسبحن في فجر يوم السبت ويعدن إلى البيوت عندما تعلو الشمس أكبر من أثداء الأجنبيات وأكثر ترهلاً.. لم يكن يلبسن ملابس مثل الأجنبيات بل يسبحن بملابـــس البيت التي تلتصق على أجسادهن بسبب الماء فترسم تفاصيله .. الأثداء خلف ملابس البيت تشبه أكياس اللبن !.

لـــم تستمر متعتنا ومتعة رجال القرية الذين كانوا يكتفون بالجلـــوس على الكثبان الرملية المحيطة بالشاطئ لرؤية النساء الأجنبـــيات وهن يسبحن .. انتهت فرحتنا وفرحة رجال القرية بـــسبب فرج الذي طلبت منه إحداهن أن يدهن جسدها بالزيت، نامـــت علـــى ظهـــرها .. بدأ في عمله لكن فجأة ملأ صراخها الشاطئ...

انقطعـــت الحافلة لمدة شهر عن دخول القرية .. وبعدها دخلت لكن خلفها جيش من سيارات الشرطة تحميها ومنعنا من

السباحة معهن .. جلس رجال الشرطة على الكثبان الرملية التي كان يجلس عليها رجال قريتنا.

بهذه الفعلة حرمنا فرج من فرحتنا ليتزوج بعدها مباشرة .. أصبح يمثل لنا نافذة على العالم الذي نعرفه ولا يمكننا الحديث عنه .. هو الذي أخبرنا بأن الأثداء لا تختلف هي واحدة لكنها تختلف فقط في الحجم مثل قناديل البحر .. وملمسها إلى حد كبير يشبه ملمس قناديل البحر.

وهذا ما تيقنت منه الآن .. أضغط عليه بأصبعي ملمسه طري ماعدا خشونة لذيذة عند هالته البنية .. لكن فرج أضاف لنا بأن للمرأة رائحة تشبه رائحة اللحم المجمد الموضوع في الماء كي يذوب عنه الثلج .!

هذا الذي لم استنشقه الآن.

تحركت من مكانها مع حركتها أذنت لروائحها أن تنبعث وهي تسير أمامي .. كانت الإضاءة التي ترسلها الشموع تسمح لي برؤية القوسين اللذين يبدآن من تحت إبطيها ينفتحان عكس بعضهما وبفقرات العمود الفقري البارزة قليلاً وهي منحنية تبحث عن حذاء الحمام.

ولكـــي أتأكـــد استنشقت بنهم الجزء الذي كانت تنام عليه مازال رطباً من عرقها ورائحته.

فـــرج لم يكن صادقاً معنا في كل ما قاله .. عليَّ التأكدٌ ممـــا قالـــه أو أنفـــيه فركت جلدي عند الصدر.. أسفل البطن استدعي بقاياها وما تركته عالقاً بي .. فرج لم يكن صادقاً معنا في كل ما قاله.

* * * *

فـــي مقهى ( الانترنت ) جلس أمام جهاز ( الكمبيوتر ) المجـــاور لـــي رجل متوسط العمر طويل ذو لحية يحمل معه ظرفًا كان ينظر للشاشة بانتباه وبعد دقائق خرج وترك الظرف البنـــي علـــى الكرسي أخذته ولحقت به ولكنه كان قد غادر .. قـــرأت العـــنوان الموجود على الظرف ( بنات الغابة / سالم العوكلـــي ) شـــدني العـــنوان فقلت سآخذه و اقرأه في الطائرة خصوصا أن رحلتي لم يبقَ على موعدها غير ساعتين وعليَّ أن أكون الآن في المطار.

فـــي الطائرة الخوف والتوتر يدفع الناس للسلوك الحميم لهذا أخرجت المخطوط وبدأت أقرأه ...

أعجبتني قطعة فأردت أن أضع عليها علامة بقلم فبحثت

في جيوبي لم أجد وعندما سألتني قلت لها أريد قلمًا أضع علامة علـــى هـــذه القطعـــة .. نظـــرت للكتاب لم يكن بعد كتاب هو مجموعة أوراق مطبوعة على الكمبيوتر ومغلفة تغليفاً حلزونياً .. قـــرأت الاسم ثم قالت هل اسمك سالم بدون أي ارتباك قلت لهـــا نعم وهذا كتابي أريد طباعته في طرابلس، هل أنت كاتب نعـــم و شاعر .. شعرت ببريق في عينيها عندما عرفت بأنني شـــاعر لـــم تكـــن جميلة لكنها معقولة لكن لها جسد جميل لهذا قدمت لها المخطوط كان يبدأ بقصيدة اسمها من أول السطر .. وهـــي تقـــرأ في سرها كنت أراقب حركة شفتيها .. كنت قلت بأنها ليست جميلة لكن هذا لا يعنيني كثيراً فماذا لو كنتُ أعمى الآن ؟ هل يعنيني أن أتعرف على امرأة جميلة ؟ لو كنت أعمى لما فكرت في أن القبلة التي منحتها لي امرأة هل هي قبيحة أو جميلة أو حتى قطة .. المهم أن تكون أنثى .. وأنا أنظر لشفتيها أعطتنـــي المخطوط بعد أن أنهت قراءة القصيدة .. لكنها قالت اسمع : كلامك المكتوب حلو ولا أعرف كيف أعبِّر عما أشعر به غير أن كلامك حلو ..!

لكـــي أبـــرهن على أنني مثقف لجأت للعبة الغموض في الكلام – كي نشعر غيرنا أنهم أقل منا فهماً – لهذا قلت لها إن هـــذه القـــصيدة هـــي تعبير عن ضمور الواقع في سيكولوجية

الإنـــسان .. وأنـــا أتحدث بدأت تهز رأسها بتلك الحركة التي توحي بأن كلامك مفهوم .. إذاً هي الآن توقع معي عقد الكذب المسموح به لهذا عرفت بأن الأمور لن تنتهي عند هذا الحد بيننا .. فلو سألتني عن معنى كلامي لظهر على وجهي الكذب لأنني لستُ فاهماً لما قلت.

وبعـــد هبوط الطائرة في مطار طرابلس دعتني لركوب التاكسي معها.

* * * *

دخلـــتُ الحمام كان لونه ورديًّا ومؤثثًا بكل الروائح التي تخص الجسد.

عندما خرجت وجدتها جالسة على الأريكة المقابلة للتلفاز وقـــد ارتدت قميص نوم قصير وهي تمسك بالمخطوط وفتحته علـــى الـــصفحة نفسها التي أشرت عليها بالقلم وطلبت مني أن أقـــرأ لهـــا. (كانت مجتمعاتنا المرتبكة التي تركت الغابة ولم تـــصل إلـــى الحداثة تتقن هذا المس الجديد لمفهوم الجسد عبر نخبـــتها العالمة ضمن المعرفة المحدودة التي أسرت الجسد في قبـــضة الـــشعوذة الاجتماعية وصار جزءاً منها، عاره عارها وهزيمته هزيمتها، ونزوته مصدر تهديد لشرفها، فانهمرت عليه الأقفال تباعاً وحاصرت الملابس حركته المرتبكة .. ليس بعيداً

عـن بقايـا الغابة الجافة كنت صغيراً بما يكفي لحضور إحدى حفلات المحو الطقسي لهذا الجسد .. كانت المرأة المسنة العالمة تفـتح الصندوق المزخرف ( بورنة ) تضع الطفلة في داخله .. تثـبت بـين أسنانها نواة تمرة وتملي عليها ما تقول: أنا حيط والـرجل خـيط .. تقفل عليها بسبع رنات سحرية، ثم تخرجها مصفحة ضد أي فعل جنسي .. ليصبح بإمكانك أن تفعل أي شئ مع البنت إلا تهديد بكارتها ذلك النسيج الرقيق المرتبط بشرفها .. يـسمى هذا الطقس بالتصفيح وهو الختان الكلي للأنثى حتى ليلة زواجها حيث يكرر الطقس نفسه باختلاف الملفوظ .. تضع الطفلـة تمـرة دون النواة بين أسنانها وتقول: أنا خيط والرجل حيط .. ظل هذا المشهد إحدى ذكريات الطفولة التي ترسبت في ذاكرتـي، سـمعت الكثير فيما بعد حولـه، لكني اعتبرته شيئاً رمـزياً لا يمكن أن يؤدي نتيجته، كالحجاب الذي وضعته أمي حـول رقبة بقرتنا الحلوب خوفاً عليها من الحسد، لتقطعه بعد أيام قليلة وهو مضرج بالدم بعد أن دهستها شاحنة على الطريق ولتحرقه فيما بعد وتدفن رماده في حفرة عميقة.. لذلك اعتبرت كل هذا الطقس وهماً اجتماعياً حتى تلك الليلة التي تعرت أمامي فيها البنت الفائضة الأنوثة، وكانت واثقة من كل شئ، أخبرتني أنها مقفلة منذ طفولتها وكانت فرصتي لدحض هذه الشعوذة التي تابعت يوماً تفاصيلها مع البنات اللاتي كن يلعبن معي .. وحدث

تلك الليلة أن اكتشفت ما صرت عاجزاً عن تفسيره، فكنت خيطاً وكانــــت هـــي حيطاً بكل ما تعنيه الكلمة من معنى .. كنت في مواجهة الأسطورة وجهاً لوجه ... )[1] جرس موبايلها نظرت للرقم الظاهر على الشاشة وضعت يدها على فمي !

- نعـــم، حمدًا لله على السلامة، لا شيء كنت نائمة فقط، عشرة دقائق، وسأكون عندك في المطار.

* * * *

أمام فندق أجنحة الشاطئ أنزلتني من سيارتها دون وداع .. كـــنت علـــى أمل أن تنظر لي في المرآة الداخلية للسيارة .. لكـــنها لم تفعل .. في زجاج باب الفندق رأيت عربات الشرطة ورجالها الذين يجلسون على الكثبان الرملية للشاطئ وينظرون للنساء الأجنبيات .. وتذكرت بأنني تركت المخطوط في شقتها لهذا سأنتظر عودتها.

* * * *

(1) التضمين من كتاب: بنات الغابة للشاعر الليبي سالم العوكلي.

## سينـــاريـــو

## عنـدمـا تـحـب الشاعـرة قـاصًـا

**الافتتاحية**

مقطـــوعة موسيقية لنصير شمه : ( قصة حب شرقية ) يـــتخللها صوت إلهي ../ رغم إنني لا أعرفه لكن لا بأس من تخيله .. الصوت يردد.

متاريس اللغة تحصن المكان .. المكان فضاء .. الفضاء ممتلئ بغبار اللغة .. الرؤية معدومة .. لهذا أول الخطيئة القسم .. يخلقـــنا الله بـــضربة ريشة .. الصوت عمرنا على الوتر .. وكلما وقعنا في الحب زاد بعده الهرموني .!

المسافة طويلة .. وأن نحب نثبت أن للمسافات حماقاتها .!

وحـــدة البشر فعل وليست أماني. الويل لنا ممن تحصن بالـــصحراء، ســـن قوانين توغله في صحراءه .. يشيد جدرانه الذهنية ويبتسم للشمس .!

غير أن الشاعرة المحاصرة بالشوارب تبوح ..

( يا للحسرة نحن سعداء وهادئون

يا للحسرة نحن ملتاعون وآفلون

سعداء لأننا نحب

ملتاعون لأن الحب لعنه ) كلماتها مؤثرة لكنها شرسة.

القاص يبكي بعد قراءة الرسالة لكنه يبكي بشكل أفقي

أحب اللعنة لأنها أنا .. لأنها حياتي التي اكتشفتها ...

ولأنني أحب هذا يعني أنتِ .. أحتاج ( لتسونامي ) جديد يستوعب الألفية الثالثة .!

**مـــشهد داخلي :** غرفة نوم القاص .. القاصّ يجلس على حافة سريره و يقرأ بصمت رسالة الشاعرة .. زوجته التي لم يعرفها يوماً تنام على السرير .. لكنها زوجته ...

لقطـــة in zoom علـــى وجـــه القاص / خلفية موسيقية مقطوعة نصير شمة: رحيل القمر .

يفكر بمفردات رسالته القادمة لها .

أنا الآن قطعة تمثال من بعدك تمثال لزعيم لا تحبه الناس ولا يحبهم

cut

مشهد غرفة نوم الشاعرة لا توجد موسيقى

الشاعرة الحبلى تستعد للموت لهذا تترك سريرها متوجّه الـــى غرفة مكتبها التى لا يحبها زوجها .. تجلس لتكتب بشكل رأسي

أحب رجلاً

وأتزوج آخر

على بعد خطوات يبتسم لي الموت

وأتذكَّر حبيبي

رتيبة اللغة التي لا تسعفني بالكلمات المناسبة في المواقف الشرسة .

Cut

**مشهد داخلي : غرفة نوم القاص / لا توجد موسيقى**

تستيقظ زوجته. القاصّ مازال على حافة السرير .. تترك السرير تحلقها الكاميرا إلى أن تخرج من الغرفة .. صوت باب يفـــتح .. ينفجر ضوء في الردة .. صوت ماء يندفع بقوة .. ثم صـــوت ماء يندفع بهدوء .. يختفي الضوء.. صوت باب يغلقك

.. تعــود من جديد إلى سريرها بعد أن توجه ملاحظات شرسة عن ضوء الغرفة قبل أن تطفئه.

Cut

**مشهد للشاعرة في مكتبها /**

مازالت تفكر في الكلمات المناسبة تسمع أقدام زوجها .. بسرعة تمزقت ما كتبت

يداه تطوقها بشيء من العنف المحميم.

أرجوك اتركني هذا غير صحي في الأيام الأخيرة للحمل.

يتــراجع عــنها ولكن بشيء من الامتعاض .. يعود إلى غرفته وهو يردد ما ذنبي أنا ؟

أحــست الشاعرة أن هذه هي الكلمة المناسبة التى تبحث عنها

أخرجت ورقة من درج المكتب لتعيد من جديد ما كتبت ..

الذاكرة لم تسعفها بشيء ..

الورقة أمامها بيضاء تماما إلا في منتصفها كتبت ما ذنبي أنا.؟!

تردد: الكلمات تراب حملته رياح عصفت بالذاكرة

والرياح ما ذنبها ؟

لتلعن ...

Cut

**كــواليــس :**

المخرج الذي درس في أوربا ويؤمن بالمركزية الأوربية، وبالعقــل الــذي يفكر بالانجليزية يصرخ على الممثلين الأربعة ويتهمهم بالبطء الشديد في الحوار.

لهــذا حذف كل المشاهد السابقة وقلب الأدوار .. لتصبح زوجة القاص شاعرة وزوج الشاعرة قاصًا .. وبهذا التغيير لم يعــد للبطلــين الــسابقين أي دور .. لأن الابطال الجدد وعلى موســيقى DG ووفــق التسلسل العصري الخالِي من الاحتراق تزوّجا بسرعة.

Cut

* * * *

# الفتى المدلّل يقف عارياً

الفتى الذي ولد مدللاً ليس فقط من قبل أسرته بل من جميع من يتعامل معه.

العينان العسليتان، البشرة البيضاء، الشعر الأصفر، هذه الصفات في مجتمع أسمر تجعله يشعر بأن من حقه أن يدلل، والدلال يمنح الشعور بالأهمية وأنه مميز عن الآخرين، لهذا أصبح الفتى المدلل شاعراً، شاعراً وجد جمهوره المحب لشعره قبل أن يقول الشعر.!

ظل شاعراً في إطار العائلة إلى أن آخذه خاله إلى صديقه الشاعر الذي أعجب بما كتب وأوصاه أن يتعلم بحور الشعر / أسر الشعر العربي لفترة طويلة لستة عشر بحرًا .. وفي الحقيقة ليست بحاراً بل هي احواض سباحة للأطفال ليست خطرة .. وليست عميقة .. البحر مغامرة ..مجهول .. لكن في هذه البحور .. كل ما عليك هو حفظها والتمكن منها وأن يعمل عقلك كأداة لتخزين مفردات اللغة لتوضع في هذه البحور ...

لأنه تعلَّم الشعر .. أصبح عليه أن يهتم بشكله، رفض

مبكـــراً بنطلونات الجينز التى تحرمه من الهيبة .. الهيبة مهمة لـــشاعر ولد مهماً قبل أن يولد / على السبَّاح أن يكون أنيقاً في حوض السباحة المخصص للأطفال .. وأن يختار بعناية ملابس السباحة وتكون متناسقة، وأن يصفف شعره بطريقة جميلة لأنه بطبيعة الحال لن يبتل.

وقـــف الفتي المدلل كثيراً أمام المرآة ليتعلَّم كيف يصافح الـــناس وهو مظهر التواضع .. أن ينحني قليلاً ويبتسم ثم يضع يـــده اليـــسار علـــى يد من يصافحه / هنا يستخدم الفتى المدلل أســـلوبًا جديدًا للدعاية .. أنا متواضع انظروا .. في هذا تفوَّق على أستاذه.

عندما دخل مرحلة الشباب خَلَتْ له الساحة لأن أستاذه ترك الـــشعر ودخـــل فـــي حالة تصوّف / في مسابقات السباحة الحرة والقصيرة يرى السباح النهاية، ولهذه عندما يصل يرفع يديه عالياً ويتمـــسك بالحـــبل الذي يفصله عن السباح المجاور لـــه .. وهو مـــنهك .. كانـــت المسافة قصيرة ومعلومة النهاية ويستنزف فيها الجانـــب البدنـــي أكثر من الذهني. وبعبارة أخرى يتعب العقل من حفظ المفردات .. لهذا يحتاج السباح إلى راحة وهذا ما وصل إليه أستاذه الشاعر .. الذي تعب من الحفظ والاستذكار .!

وفي جلسة يريد أن يثبت فيها الفتى المدلّل ولاءه لأستاذه، أمسك بالصحيفة التي نشرت قصيدة نثر .. وقرأها بشيء من السخرية .. وبعد أن أكمل قال: رصف الحجر هذا سهل.

الفتى المدلّل المدعو في تظاهرة حماسية بخصوص الطفل الذي مات في أحضان أبيه .. أخرج القميص المناسب والبنطلون المناسب .. ووضع النظارة الطبية التي لم يكن يحتاجها في جيبه.

لم يكن يجلس بين المدعوين بل فضّل أن يجلس بين طلاب الجامعة .. وعندما قدّموه خرج من وسطهم .. بعد أن تأخَّر قليلاً لكي يبحثوا عنه .. صعد للمنصة بحث عن النظارة ثم بحث عن القصيدة .. وبدأ يلقي قصيدته الحماسية بطريقة عصبية .. ومادامت القصيدة حماسية عن الأبطال السابقين يجب أن يستحضر الماضي / عندما يستدعي الشاعر الماضي يكون أمر بإلباس الجميع النظارة المثالية للماضي .. ولهذا يعيش الجميع في حالة من الغياب والسعادة، لأنهم يرون المنجزات المواكبة في ذلك الوقت.

أكمل قصيدته ونزَّع نظارته عن الحضور الذين بدأوا يرونه جزءاً من الماضي الجميل لهذا تمّ التصفيق بطريقة مستمرة إلى أن نزل عن المنصة.

كان الكل يصفّق إلا فتاة نحيلة، ترتدي نظارات طبية .. لـــم تكـــن تصفق .. لهذا استغرب الطفل المدلّل .. ولهذا تقرّب منها أثناء استراحة الشاي ..

– هل أعجبكِ الشعر ؟

– يعني / تفيد هذه المفردة الاحتماليين لهذا تفاجأ منها لأنـــه يعتبـــرها محظوظة بوقفته معها .. وأنها الآن محطّ أنظـــار الجمـــيع وغيرة كل البنات .. لهذا سألها من جديد ربما تغيِّر أجابتها.

– لم أفهم ؟.

– لا أحـــبّ الـــشعر الذي أعرف مفرداته مسبقاً .. هذا الـــنوع من الشعر لم يعد مبهراً إلا للمراهقات .. / الفتى المدلل يقـــف لأول مرة عارياً أمام المرآة، لهذا انحنى إلى الأمام قليلاً ليداري عورته.

– لكن هذا هو الشعر

– هل الشعر ثابت ؟

– لا أعرف ؟

- هل هناك إمكانية لخلق الحرف التاسع والعشرين للغة.

- آه .. فهمتِ أنتِ من محبّي قصيدة النثر.

- أنا لا أحبّ .. أنا أعرف أن نظارتي الطبية لبستها بعد دخولـــي الجامعـــة، لأن نظري ضعف من القراءه والتعب في المعمل .. ولست أرتديها من باب الترف.

/ الفتـــى المـــدلّل الذي انحنى إلى الأمام ليداري، عورته اكتشف بأن خلفه توجد مرآة .. لهذا أغمض عينيه.

صـــعد للمنصة من جديد بحث عن الفتاة لم يجدها. ألبس الجميع نظارات الماضي، وغاص بهم بكل سلام.

* * * *

# ماضٍ متحرك

- 1 -

يقف في طابور ليس عدده بالقليل .. ينتظر دوره ليحصل علـى سندوتشات الكباب لـه ولزوجته/ هذه هي الفترة المتاحة من الدلال .. فترة الأيام الأولى .. يكون عادة الذكر متسامحاً إلى أبعد الحدود مع الأنثى، أو بعبارة أخرى هي الفرحة الأولى عندما يدخل الإنسان عالماً جديداً .. سوف يتم التركيز على الأشياء المعلنة .. ولا ينتبه للتفاصيل ...

هي تجلس في السيارة .. جلستها كعروس جديدة .. ضروري أن يكون فيها شئ من الاتكاء هذا الاتكاء الممتلئ بالإغـراء المسموح به .. يناسب الحنة ورائحة العطر واحمر الشفاه / في هذه الفترة تستخدم الحياة إلى أقصى ما يمكن .!

- 2 -

باب المنزل يطرق مبكراً، مازالت هي غارقة في ملاءة السرير الزرقاء المتجعدة، كأمواج الخريف الصغيرة الهادئة .. قام بصعوبة وتوَّجه نحو الباب .. وهي استطاعت أن تفتح

عينــيها .. لكنها لم تلحقه بل فضلت انتظاره.. بعد أن أخرجت من الدرج المجاور للسرير، زجاج تغيير ريق الفم.

لكــنه تأخَّــر أكثــر من اللازم .. قامت من سريرها .. وتــوجَّهت نحو الباب .. فلم تجده .. وجدت الباب مفتوحاً .../ فـــي مثل هذه الحالات .. تبحث الأنثى قليلاً في البيت، ثم ترفع ســماعة الهاتــف وتتصل بإخوتها .. وتكلمهم وهي تبكي من الفزع ...

- 3 -

عــندما عــاد الى البيت .. لم يجدها .. اتَّصل بها عند أهلها ..

ردّت عليه : أنت غشّاش .. خدعتني .. طلقني .. أخذت أمها السماعة من يدها .. اسمع لا تتصل هنا مرة ثانية، وكل ما بيننا هو ورقة طلاق ابنتي .!

لــم يستطع الرد عليها لأنها أغلقت السماعة في وجهه.. جلــس على الكرسي المقابل للتلفاز بعد أن قام بتشغيله .. ليجد صــدام حــسين في قفص الاتهام .. لكنه جاء في آخر أحداث المحاكمــة، لهــذا انتهت بسرعة غير أن مذيع القناة التى تنقل

الأحـــداث .. اســـتطاع أن يأخذ بعض الآراء من الشارع حول المحاكمـــة .. كانـــوا مجمـــوعة من الناس الفقراء يتمنون أن يتحـــصلوا علـــى صدام حسين ليأكلوه بأسنانهم / أصبح صدام حـــسين يمـــثِّل لهؤلاء ماضياً يريدون أن يتخلصوا منه .. ليس بالنـــسيان .. إنمـــا بعملية جراحية تحدث في الذاكرة .. لم يعد النسيان كافياً لهذا الماضي.

فـــي الـــشريط الإخباري أسفل شاشة التلفاز لفت انتباهه خبر انفجار مسجد شيعي وعدد القتلة الكبير / هذا الانفجار الذي حدث في القرن الواحد والعشرين .. لم يكن إلا محاولة للإجابة عن سؤال لم يُسأل ! هذا السؤال أقفل علماء الدين بابه .. أيضا هـــذا ماضٍ .. لكنه ماضٍ ثقيل مازال يركض في مراثون ممتد ولـــم يـــتعب. لم يسقط. لم تستطع الذاكرة نسيانه .. هذا لأنهم طلبوا منّا جميعاً أن ننسى.

النسيان فعل لا يأتي بإرادة ...

قـــام عن الكرسي بعد أن أطفأ التلفاز .. وتوّجه إلى الحمام بعد أن فتح ( الراديو ) على القناة المحلية ليسمع المذيعة التـــى تتحدث اللغة العربية من أنفها .. وهي تسرد تفاصيل .. عملية القبض التى حدثت لصاحب مطعم الكباب المشهور، وهو

متلـــبس بـــذبح كلاب وطهيها وتقديمها للزبائن ..عرف المطعم وتذكَّـــر تلك الأيام التى كان يأخذ لـــه ولزوجته سندوتشات منه .. بدأ يشعر برغبة في التقيؤ / الجسد هو الآخر لا يستطيع أن ينـــسى، أو أن يجبـــر علـــى النسيان وابتلاع الماضي .. هذا الماضي رفضته المعدة.

دخل غرفته وجد الملاءة كما هي بتجاعيدها اللذيذة / من الطبيعـــي أن يتذكَّـــر كل ما كان يحدث بينهما هنا .. من عناق لذيذ .. لهذا لن نرصد هذه الحالة لأنه يحاول التذكر .. غير أنه تذكـــر قصة الحب التى مرت بها زوجته قبل أن تتعرف عليه ..والتي تغاضى عن أن يسألها ( هل نسيتها ؟ ).

قـــصة تـــشبه تماما القصة التى مرّ بها .. والتى بسببها تركت البيت لأن حبيبته الأولى قدّمت شكوى فيه عندما عرفت أنه تزوج من غيرها .. بأنه اعتدى عليها جنسياً .. عرفها منذ أربعة سنوات ماضية .. وكان بينهما قُبل سريعة .. لهذا خرج مـــع الـــشرطي الذي قبض عليه في بيته .. عندما عاد لم يجد زوجته .. زوجته التى تسامح معها في قصة حبها والتى لم تكن تخلو من القبل السريعة .. لكنها تريد معاقبته على تسامحه.

## - 4 -

وهو يرتدي ملابسه .. خطرت عليه فكرة أن الكل يريد أن يطهِّـــر نفـــسه فيه .. الطهارة تحتاج ضحية لتحدث .. لهذا سوف يعترف بأنه فعل كل ما ينسب إليه من قضايا .. ولو وجد صاحب المطعم في السجن سوف يتطوّع لتحمل المسؤولية عنه / طرأت عليه هذه الفكرة عندما سمع الناس وهي تعتبر اعتراف صدام بكل القضايا هو عمل بطولي ورجولي .. لهذا فضَّل أن يعترف بكل القضايا المرتكبة والتى لم ترتكب .. محاولة لإعادة بـــناء صـــورته التى تمزَّقت في مجتمعه .. لأنه الفاسد الوحيد بيـــنهم .. طـــرق الباب .. خرج مع الشرطي الذي سمح لـــه بالذهاب إلي البيت ليستحم ثم يعود إلى السجن من جديد.

* * * *

## عن المطر والحنين
## في شكل خط مستقيم

- 1 -

بداية الخط نقطة ( أحنُّ إليكِ ولا أشتاقكِ )

* * * *

- 2 -

" مسيرة النقطة إلى أن أصبحت خطّاً "

الجو صيف لكنه ممطر .. درنة مدينة ساحلية، وليست استوائية ..

لكنّ الجو ممطر.. مطر على الكتب .. على الناس .. على كريم الأساس، وهو يكافح السمرة اللذيذة .. على شعورهن تحت المحارم.. مطر .. مطر .. مطر .. على الفاكهة المعروضة في الشارع .. على النعناع .. على البردوقش .. على الحبق .. على المشماش الصالح للخمرة .. على الخمرة في أكياس كاختراع ليبي .. على الحافلات الممتلئة بالبنات ..

مـــن جديـــد على الناس ..على رجل صدمني بسيارته ويتهمني بالخطأ .. على المسافة بين الجسد والروح / في غيبوبتي كنت أطلب من الممرضة أن تلمسني لأتأكد من وجودي.

مطـــر علـــى الصدق .. على الكذب .. على شوارع بلا أرصـــفة .. بلا إشارات مرورية .. مطر على الأذكياء .. على الأغبـــياء .. علـــى الفقـــراء .. علـــى الأغنياء .. على يافطات المكـــيفات بدون قسط أول .. على الشرطة .. على المساجين .. علـــى المصلين .. على الملحدين .. مطر .. مطر .. مطر على طاولتي الموجودة في المقهى الصيفي .. على ورقي .. عليَّ ...

هاتفي يرن تحت المطر .. الرقم طويل و الشبكة البائسة لـــم تتعرف عليه .. لهذا ظهر هكذا + 0000000000000، مكالمة دولية.. ترددتُ في الرد .. لكنني فتحت ...

- آلو

- نعم من معي

- لونا ...

- كيف حالكِ وماهي أخبارك وأخبار أهلك ؟.

- بـــسبب انقطـــاع الكهـــرباء، لم أستطع أن أدخل على الإنترنت.

ـ كنتُ متوقعاً هذا ...

ـ عمـــومًا أرسلت لك مجموعتي القصصية الجديدة اليوم أتمنـــيِ وصولها.. والآن اعذرني أريد أن أذهب.. جميل أنني سمعتُ صوتك.

ـ وأنـــا أكثر .. أتمنى أن تتحسن ظروفكم../في صمت يمكن القول إن هذا الأمنية كل ما بوسعي.

الغـــريب أنهـــا تعـــيش المقاومة وتحت الحصار و تحت الحـــرب.. وتكتب القصص .. وترسم .. وتسأل عن إمكانية أنٍ تعرض مسرحية من تمثيلها وإخراج زوجها في درنة .. وتنظّم مظاهرات بنكهة يسارية .. وتهتم بشؤون بيتها .. وتضع المهم من حاجياتها في مكان آمن .. ربما سيقصف بيتها .. وسيكون علـــيها أن تخـــتار حذاءً واحداً من بين ثلاثة أحذية .. ستختار الحـــذاء الـــذي أحـــضره زوجهـــا لها في عيد زوجهما الأول، وزجاجـــة عطرها الصغيرة، وستضع قلم كحل وأحمر شفاه في حقيـــبة الـــيد التى سيكونٍ فيها كل أوراقها الرسمية .. وستضع قمـــيص نـــوم واحد ليذكّرها باللحظات الحميمية قبل النعاس .. تفعـــل كل هذا وهي ترتدي بنطلون الجينز الرخيص والقميص الذي يكشف عن ساعدين نحيلين .. وتتابع الأخبار .. وتجد وقتاً لمراسلتي وتتصلي بي.

والغــريب أن الجــو صيف لكنه ممطر، وأنا في درنة أســمع صــوتاً يريد سماع صوتي وهو في لبنان.. صوتاً ربما آخر مرة سأسمعه .. تقول إن أهلها بخير .. هو خير مؤقت .. مادام هناك صراع بين من أعلموا الله بأنه اختارهم وأحبهم .. وبين من أوكلوا لأنفسهم مهمة الدفاع عنه .. مطر من الله على هؤلاء وهؤلاء .. مطر وهو ينظر بعينين واسعتين من الدهشة، لمــا ألصق به .. سيكون الخير مؤقتاً والسلام مؤقتاً.. والقُبل مؤقتة.. وحده المطر أكبر من كل هؤلاء وهؤلاء .. ولا يعرف لغة الاستئذان إن فكر في الهطول.

المطــر لــيس بارداً .. المطر محايد .. والفتاة التي أسكن معها في درنة لا ترغب في الاتصال بي .. رغم أنها لا تعترض على شخصيتي ..هي لا تقع تحت الحصار .. ولا تحت الحرب .. ولا تحت المقاومة .. هي واقعة تحت ركام قديم.. قديم جداً .. قــبل أن يأتــي الأندلسيون درنة .. قبل أن يفكّر محمد باي في أنــشاء الساقية وقبل أن يستشهد الصحابة فيها .. وقبل أن تحدث ملحمة حبيب.. وقبل يتكون الشلال .. وقبل أن يفيض الوادي .. وقــبل أن تزرع عرائش شارع البحر التى ماتت قبل أن أولد .. وقــبل أن يكتــشف بئر الصبايا .. قبل كل هذا كان يوجد ركام يحمله الناس.. ويتوارثه من الجيل الأول إلى الآن...

تستيقظ في الصباح الباكر .. تقضي ساعة أمام المرآة .. لوضـــع مسحة خفيفة من كريم مكافحة السمرة واحمر الشفاه .. مـــسحة خفيفة لكي لا ينتبه الآباء والإخوة الكبار .. ثم سترتدي محرمتها الملونة الباهظة الثمن .. وجلبابها بأكمامه الواسعة .. والضيقة الخفيفة عند بزوغ الصدر والأرداف.. لتخرج بحجابها منتظـــرة الحافلة.. التي ربما ستمنح من أحدى نوافذها ابتسامة لسيارة كادت أن تصدمهم في احد المفترقات.. وربما ستفرجها صـــديقتها رســـالة حبيبها و كيف وصلتها على جهاز محولها وهـــي تتحدث مع والدها حديثاً مهماً .. أو مع أمها التي كانت تقترح عليها اسماً لعريس مفلس.

مسكينة هذه الفتاة.. تظن أنها منحتني الجنة لمجرد أنها لا تعترض على شخصيتي ..لو تخرج الآن من بيتها وتقف تحت المطـــر قلـــيلاً ربما غيّرتِ فكرتها .. لو تخرج لسانها وتتذوق المطـــر .. سيكون أكثر حرية .. لِيبوح بما لا تستطيع البوح بهِ .. / مـــسكينة لأنها تظن أنني لا أعرف بأنها تلعب لعبة الحياء التـــى تقـــود للـــزواج .. لو تخرج قليلاً تحت المطر ربما ابتل شـــعرها وشعرت بشيء من الحرية .. اللعب الذكي يعقد الحب .. يجعله صعباً ككتاب فلسفة رأس المال.

توقَّـــف المطر .. ابتلت درنة .. الشوارع تلمع .. الناس

تلمع .. الفاكهة تلمع .. خضرة السواني تلمع .. الجرو الأجرب الـــذي ينبح عليَّ هو الآخر يلمع .. والسيارة التى كلما مررت بجوارها تنبح هي الأخرى تلمع ...

أنـــا لا أدخـــن لكنني اشتقت للدخان .. اشتريت علبة .. أشعلت سيجارة .. النادل وضع أغنية لفيروز .. ( سلملي عليه .. وقوله أني بسلم عليه ) لمن سأغنى هذه الأغنية .. للبنان أم لدرنة ؟ ... / كلاهما يحتاج السلام.

السيجارة دافئة في فمي .. السيجارة لا تعرفني .. لكنها منحتنـــي الدفـء .. تشبه " هبة " التى عرفتها عند باب سينما بالإســـكندرية لم نأخذ وقتاً طويلاً .. مجرد ابتسامة حتى وجدت يـــدي تطـــوق عـــنقها .. و أناملي تسير على حواف القارب الورقي المقلوب .. بادرتني بوثبة خفيفة وسريعة ..تشبه موجة غـــربية اســـتطاعت أن تلملم قواها وتصعد فوق سطح البحر لتـــنذر الدراونة بريح باردة ترطب وجوههم التى جففها القبلي الحـــار .. / أوه كم هي جميلة صورة القارب الورقي المقلوب لتعبر عن لذة الأنامل.

غيـــر ان مـــوت " نـــيكول كيدمان " في فيلم الطاحونة الحمـــراء الذي كنا نشاهده .. جعلها تجهش بالبكاء .. خرجنا مـــن الصالة .. وأنا امسح بأناملي مطر عينيها .. مطر قلبه ..

أناملـــي تـــسير بارتـــباك علـــى خديها .. إلى أن أعطاني أحد المـــشاهدين منديلاً .. أمسح به دموعها .. ياالله ما أقرب الناس وما أبعد الخطايا .. الغريب لم تطلب مني شيئاً .. لا اسمي .. لا مكـــان إقامتي .. لا ديني .. لا عمري .. لا طلبًا شرعيًا .. كانـــت تريد فقط ... / تحديداً لا أعرف ماذا تريد؟ ولا أعرف إلى الآن لماذا بكت كل هذه المطر .؟

فـــي مقهى عشيقة الشاعر اليوناني كفافايس جلستُ معها بعـــد أن جففـــت دموعها .. طلبت لي ما طلبت لنفسها .. في الخارج تسير الناس ببطء .. قلت لها لو تمطر الان ...

ابتـــسمت الابتسامة التى توحي باستغراب الطلب .. لماذا بكيتِ ؟ أنا أرملة منذ سنة ونصف .. والموت سيرة مفزعة .. تعاطفَـــتُ مع الشاب لأنه سيكون وحيداً من دون نيكول كيدمان .. فـــزع المـــوت في فعلِ الموت .. ذكرى الميت التى ستعيش أطول مما عاش .. عشتُ مع زوجي سنة ثم ذهب إلى الحرب ومـــات هناك .. وبعد مرور سنة ونصف مازالت أعيش ذكراه .. سيرته ستمتد معي أطول من عمره الذي عاشه في الحياة .. الـــوحدة تـــشبه الموت .. لم أكن منتبهاً لما تقول .. لأنني كنت أحـــاول رؤيـــة نهاية السلسلة الرفيعة المعلقة برقبتها .. لكنها أخرجتها لي .. لا تتعب نفسك .. هذه هي ...

حاولـــت أنْ أداري خجلـــي .. بالإنكـــار .. خرج الكلام عـــبارة عن تأتآت .. لكن الصليب المعلق بالسلسلة .. أنقذني من إحراجي..

أنتِ مسيحية ؟

نعم .. مارأيك ؟

جمـــيل هذه أول مرة أتعرف على إنسان مسيحي .. كنتُ أشاهدهم في التلفاز عن طريق الممثلين ولاعبي كرة القدم .. لا أنكر فرحتي عندما أحداً منهم يشير إلى قراءة القرآن .. أذكر جـــيداً إشـــارة الصليب التى رسمها مدافع منتخب مصر هاني رمزي .. هذه الإشارة احتفظت بها في ذاكرتي أكثر من النتيجة التى فاز بها المنتخب ...

زوجي مات في حرب العراق والكويت .. تخيل فنتازية الحـــياة .. حـــرب بـــين العـــراق والكويت .. ويموت زوجي المـــصري .. ولكـــي أهوّن عليها قلت لها انظري لهذه العجوز التى أحبت رجلاً في شبابها كان عمره ضعف عمرها .. وهي الآن تعيش على ذكراه بانتظار الموت .. تعيش على ذكراه ليس بالقرب منه .. هو الآن مسجي في اليونان وهي في الإسكندرية .. لكنها بإجابة باردة قالت: الفنتازية لها وجوه عدة .!

بـــدأت حـــركت الناس خارج المقهى تزداد .. بدأ المطر ينهمر .. ضحكت بصوت عالٍ ..

" انت فيك شي لله، لو طلبت مليون جينه مش كان أحسن "

الفتـــيات بقمصانهن الصفراء التى تمتص بطريقة مثيرة المطـــر .. يركـــضن .. الكتب على رؤوسهن .. وأنا من ترك الطاولة بكل اختلافها .. واقتربت من النافذة الزجاجية الكبيرة .. لأشاهد بركة تكونت بجوار الرصيف تصلح لأن تكون بحراً لقارب ورقي.

خـــرجت الشمس وبدأت الرطوبة تخنق الجميع .. تخنق كـــل لمعـــانٍ ممكن .. لمعة الناس .. الشوارع .. الخضرة .. وحـــده الجـــرو الأجرب من كان يتباهى بلحمه الأحمر وشعره المبتل.. ولا يشعر بالاختناق .. ولا يهتم ...

* * * *

- 3 -

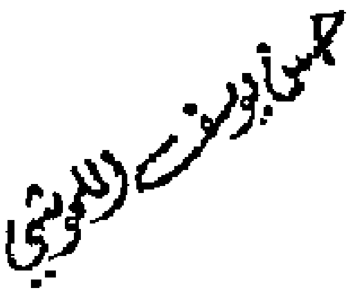
نهاية مؤقتة للنقطة " لا أشتاق إليكِ، ولكنني في حنين دائم نحوكِ "

ليس عليَّ أبدًا أن أضع نقطة عند نهاية الأشياء، النهايات الفاصلة فقط تحتاج لنقطة جازمة.

المطـــر مازال في بدايته .. يرسل نقاطًا كثيرة للبشر، لا يفهمونها.

أحاول السير بمحاذاته، مصافحته، إنها البداية فقط.

* * * *



# الفهـــرس

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |



* * * *

## المـؤلـف فـى سطـور

* حـــسن رجـــب بوسيف ليبي مقيم فى درنه صدر لـــه مجموعة قصصية أولى بعنوان وشوشات المحار عن مجلس الثقافة العام بليبيا.

* HOS37@hotmail.com

HOS372002@YAHOO.COM

تنفيذ الطباعة والتجهيزات الطباعية

دار قـــباء الحديثـــة

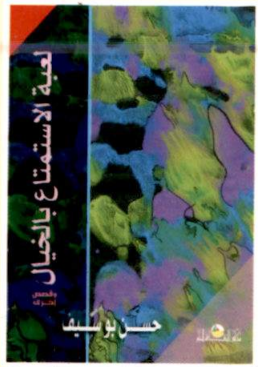
للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة

جمهورية مصر العربية

16 عمارات العبور - شارع صلاح سالم - مدينة نصر

تليفاكس 02/22621365 - محمـــول 0123140315

E-mail: modern_qubaa@hotmail.com




■ يقدّم مجلس الثقافة العام للقارئ الكريم مجموعةً من إصداراته الجديدة المتنوعة ، التي تتضمن أجناسًا أدبيةً وفنيةً ، تهدف إلى دعم الكتاب ونشر المعرفة وتنمية الذائقة الجمالية وإثراء الحركة الثقافية .. آمِلاً إسهامًا جادًّا يضيف إلى الحراك الثقافي رصيدًا مميزًا وفضاءً جديدًا للمعرفة وللحياة.

مجلس الثقافة العام